الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله معهد الآثار
قسم الآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

مصادر تاريخ المغرب الإسلامي

التخصص: آثار إسلامية
المستوى : الثانية

من إعداد الأستاذ :
علي بوتشيشة

الموسم الجامعي : 2023/2022م

المحاضرة الأولى: المسكوكات الإسلامية

تمهيد

ظهور النقود

النقود في شبه الجزيرة قبل الاسلام

النقود في عهد الرسول عليه السلام

النقود في عهد الخلفاء الراشدين

النقود في العهد الأموي

الإصلاح النقدي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان

أولا : الأسباب غير المباشرة

ثانيا: الأسباب المباشرة (حادثة القراطيس)

مراحل الإصلاح النقدي وتعريب النقود

تطور المسكوكات الإسلامية في العهد العباسي

تطور المسكوكات الإسلامية في بلاد المغرب

صناعة السكة

أهمية دراسة النقود الإسلامية

المحاضرة الثانية: الكتابات الاثرية

تمهيد

المفهوم اللغوي

المفهوم الاصطلاحي

أنواع الكتابات الأثرية

1- الكتابات التأسيسية

2- الكتابات التذكارية

3- الكتابات الوقفية

4- الكتابات الشاهدية

تنفيذ الكتابات الأثرية

أهمية دراسة الكتابات الأثرية

المحاضرة الثالثة : المخطوطات

تمهيد

التعريف اللغوي للمخطوطات

التعريف الاصطلاحي

مفهوم علم المخطوطات

صناعة المخطوط العربي الإسلامي

أدوات الخطاطين

مواد الكتابة عند العرب

الملامح المادية للمخطوط العربي

أنواع الخطوط العربية

مشاهير الخطاطين

أهمية المخطوطات

المحاضرة الرابعة : مصادر فقه العمران الاسلامي

تمهيد

مفهوم فقه العمران الاسلامي

مصادر فقه العمران الإسلامي

المؤلفات المبكرة في فقه العمران

عناية الفقه والقضاء الإسلامي بأحكام العمران والبنيان

أهمية دراسة مصادر فقه العمران

المحاضرة الخامسة: المصادر التاريخية

أولا : مصادر التاريخ الاسلامي

1 – التاريخ العام

2– كتب التراجم

3– تاريخ الدول

4– التاريخ العسكري

5– التاريخ الإقتصادي

ثانيا – الرحلة والرحّالة

– الرحلة لغة

– الرحلة اصطلاحا

دوافع وأهداف الرحلة عند المسلمين

أنواع الرحلات عند المسلمين

أهمية الرحلة

إهتمام المغاربة بالرحلات

ثالثا – علم الجغرافيا

التعريف اللغوي والإصطلاحي لعلم الجغرافيا

نشأة علم الجغرافيا عند المسلمين وعوامل ازدهاره:

جهود الجغرافيين المسلمين في تطوير علم الجغرافيا

مصنفات المسلمين في علم الجغرافيا

مناهج الدراسات الجغرافية عند المسلمين

أهم منجزات المسلمين في ميدان الجغرافيا

المحاضرة السادسة: الحضارة الاسلامية

مفهوم الحضارة

التعريف الاصطلاحي الحديث للحضارة

تعريف الحضارة الإسلامية

المجتمع العربي قبل الإسلام

المراحل الكبرى للحضارة العربية الإسلامية

مجالات الحضارة الإسلامية

خصائص الحضارة الإسلامية

منجزات الحضارة الإسلامية

فضل المسلمين على الحضارة العالمية

أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية

خلاصة

المحاضرة السابعة : المراحل التاريخية للمغرب الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني

تمهيد

بلاد المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر الأموي

عصر الولاة في بلاد المغرب الاسلامي

حكم الولاة في المغرب والأندلس

أولا: المغرب

ثانيا:الاندلس

قيام الدويلات المستقلة ببلاد المغرب

- الدولة المدرارية بسجلماسة
- الدولة الرستمية
- الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى
- دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى

أهم دول المغرب الإسلامي من سقوط الدويلات المستقلة إلى غاية الوجود العثماني

- الدولة الفاطمية
- الـدولة الحمادية بالمغرب الأوسط

- دولة المرابطين
- دولة الموحدين
- دولة بني زيان في المغرب الأوسط
- دولة بني مرين في المغرب الأقصى
- دولة الحفصيين في تونس.
- التواجد العثماني ببلاد المغرب الإسلامي

قائمة المصادر والمراجع

تمهيد:

نشأ التعامل بالنقود نتيجة للضرورة التي اقتضاها تطور الاوضاع سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى السياسية، ففي المجتمعات البدائية كان التعامل التجاري يقوم على تبادل السلع عن طريق المقايضة.

وقد اختلفت سلع المقايضة من بلد لآخر وفقا لما هيأته ظروف موقعه ومناخه الذي ميزه بإنتاج زراعي وحيواني مميز ومن ثم اصبحت له قيمة شائعة عند افراد الشعب الواحد. فقد استخدم الفراعنة في زمنهم المتقدم "الملح" وسيلة للمقايضة أما في الهند فقد استعملوا الأرز والشاي، في حين استعمل في بلاد فارس "اللوز" وسيلة للمقايضة، أما اليونانيون فاستعملوا "الثور" قيمة للمبادلة.

وبعد أن ازداد الإنتاج وتعددت السلع أخذ الانسان في التفكير في وسيلة بديلة عن "المقايضة السلعية" التي أصبحت عديمة الجدوى لصعوبة تجزئتها أو كبر حجمها مع ما تشغله من حيز إضافة لسرعة تلفها أو فسادها فاهتدى للمعادن كوسيط للمعاملات التجارية.

وتتميز المعادن بسهولة حفظها وقدرة مقاومتها لعوامل التلف لمدة أطول إضافة لإمكانية تقسيمها لأجزاء عديدة تتوافق مع متطلباته. ويعتبر البابليون أول من استخدم المعادن على هيئة كتلة معدنية فضية صغيرة أطلق عليها اسم "شاقل" أي مثقال، أما الذهب فكان نادرا لقيمته الغالية. أما الفراعنة فاستخدموا وحدات من الذهب والفضة والنحاس تمثل أوزانا من المعدن أو أكياسا من ترابه، اما الليديون سكان آسيا الصغرى فقد اتخذوا المعادن الكريمة وزنا لسداد ديونهم مقلدين العرب البابليين وعنهم جميعا أخذ الاثينيون ايضا وسموا القطعة المعدنية المستخدمة من الفضة "دراخمة"، وهكذا استخدمت بقية شعوب العالم المعادن وسيلة للمبادلات التجارية مع اختلاف في شكلها وقيمتها ووزنها.

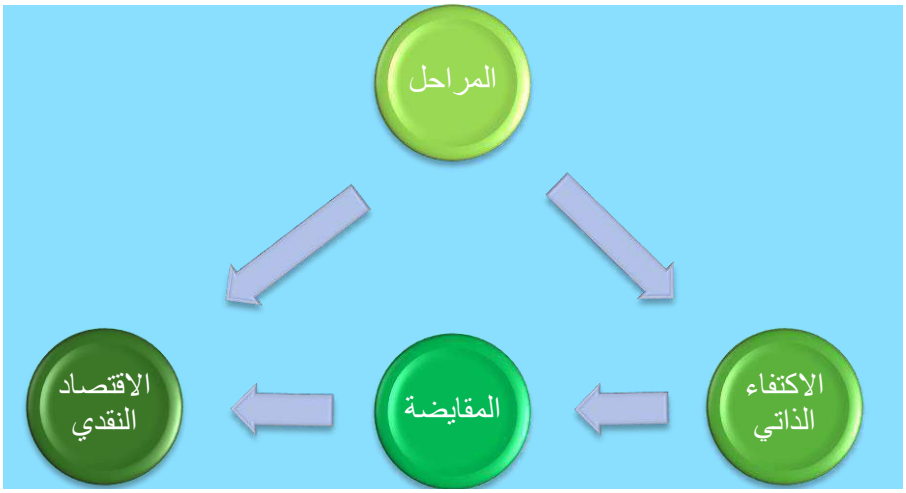

1- ظهور النقود :

يعتقد أن أول من استخدم النقود هم الليديون الذين سكنوا الزاوية الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى خلال القرن الثامن قبل الميلاد، حيث قام ملوك ليديا بتقطيع الذهب والفضة باوزان وأحجام محددة واضافوا عليها طابع الملك فكانوا بذلك أول شعب سك النقود في التاريخ. وبعدهم بدأ الفرس والفينيقيون والأثينيون يضربون النقود في القرن الخامس قبل الميلاد ثم تأثرت أثينا بنقود ليديا فقامت مدنها بسك نقود أسموها "دراخمة".

2- النقود في شبه الجزيرة قبل الاسلام :

تعامل العرب قبل الاسلام باساليب التبادل المختلفة وتوصلت في وقت مبكر نسبيا إلى مرحلة التعامل بالنقد التي تعتبر من أهم مراحل التقدم البشري في المجال الاقتصادي، هذا إلى جانب استمرار التعامل بأساليب التعامل القديمة مثل التبادل البسيط والمقايضة.

وقد تمتعت شبه الجزيرة العربية بموقع مهم بين بلدان العالم القديمن وكان يمر بها العديد من طرق التجارة العالمية أنذاك من وإلى بلاد الرافدين دول المتوسط بل وحتى بلاد الهند وغيرها، وكانت نتيجة هذا الاتصال أن عرف العرب المسكوكات من وقت مبكر ومنهاالكسروية والبيزنطية.

وكانت نقود العرب في الجاهلية التي تتعامل بها هي الذهب والفضة ترد إليها الدنانير الذهبية من الروم ودراهم الفضة من بلاد فارس، كما كان يرد إليها نقودا حميرية من اليمن لكن بكميات قليلة.حيث يقول البلاذري بهذا الخصوص :" كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة...وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، وبعض النقود الفضية الحميرية" وكانت مكة تزن الفضة بوزن تسميه درهما والذهب بوزن تسميه دينارا، وكان زنة كل عشرة دراهم ستة مثاقيلن والمثقال منذ وضع لم يختلف في الجاهلية عنه في الاسلام.

3- النقود في عهد الرسول عليه السلام :

لم يشهد عهد النبوة أي تغيير في مجال التبادل والتعامل النقدي غير الذي ورثوه عن مرحلة العصر الجاهلي حيث أقر الرسول صلى الله عليه وسلم النقود في الاسلام على ما كانت عليه، وقد كان في عصره دراهم مختلفة بغلية وطبرية إضافة إلى الدنانير القيصرية.

ويبدو أن انشغال الرسول صلى الله عليه وسلم بتأسيس الدولة وتقوية أركانها ثم إلى حاجة الدولة الملحة للأموال لغرض تمويل أمر الدعوة والجهاد، بالإضافة إلى عدم توفر المعادن النفيسة هي الأسباب الموضوعية التي حالت دون ضرب النقود في العهد النبوي.

النقود في عهد الخلفاء الراشدين :

يعتبر عهد الخلافة الراشدة استمرارا لما كان عليه الحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة 11هـ توجه الاهتمام للفتوحات ونشر الاسلام والتصدي للمرتدين، ونتيجة لهذه المسؤولية وتبعاتها الكبيرة لم يحدث في عهده رضي الله عنه أي تغييرات تذكرفي مجال المعاملات النقدية، بل عمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقرار تلك النقود التي تحمل نقوشا وكتابات أجنبية ولم يغير منها شيئا.

ويعد عهد الخليفة عمر رضي الله عنه (13-23هـ) عهد الفتوحات الكبرى والتغييرات الكثيرة وفي مختلف المجالات، غير أنه أبقى على النقود التي يتداولها الناس ويتبايعون بها في مختلف المعاملات التجارية. وفي المقابل حاول التخلص ولو بقدر يسير من التبعية الأجنبية في مجال النقود المتداولة، فلقد نقش على النقود عبارات إسلامية ولأول مرة عام 18هـ في محاولة لتعريب النقود وإصلاحها ومنها عبارة "الحمد لله" وعبارة "رسول الله" وعبارة "لا إله إلا الله". وبذلك عدّ الخليفة عمر رضي الله عنه أول من كتب على الدراهم والفلوس باللغة العربية.

وكانت سياسة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـ) استمرارا لصاحبيه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وبخاصة في ميدان الفتوحات، وفي المجال الاقتصادي استمر تداول النقود الاجنبية غير أنه ضرب دراهم نقش عليها عبارة "الله أكبر"، كما نقشت نقود أخرى بعبارات "بسم الله ربي" و"الله –محمد" و"بركة و"بسم الله الملك".

وكذلك كان الامر في خلافة على رضي الله عنه (35-40هـ)، حيث استمرت الدراهم تضرب على الطراز الساساني، وكان ينقش عليها عبارة "بسم الله" ثم أضيف إلى بعضها عبارة "بسم الله ربي"كما ظهر على أحد الدراهم المضروبة سنة 39هـ لفظة "محمد" بخط كوفي .

4- النقود في العهد الأموي :

يذكر بعض المؤرخين أن معاوية الخليفة الاموي الاول (41-60هـ) أصدر دنانير ذهبية تحمل صورة شخص متقلدا سيفا، غير أن التنقيبات لم تكشف عن مثل هذه الدنانير، كما ضرب معاوية دراهم على طراز ما سكه الخلفاء الراشدون تحمل عبارات إسلامية وبعضها حمل نصوصا بهلويةعلى غرار: "معاوية أمير أورشنكان" أي أمير المؤمنين.

ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة (60-64هـ) ضرب نقودا مشابهة لمن سبقوه، كما سك عبد الله بن الزبير رضي الله عنه دراهم مدورة بمكة وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة، وقد حملت عبارات إسلامية منها "محمد رسول الله" و"أمر الله بالوفاء والعدل"، كما ضرب أخوه مصعب بن الزبير رضي الله عنه دراهم بالبصرة .

وضرب بعض الولاة المتمردين على الخلافة الأموية دراهم تحمل أسماءهم ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وعمر بن عبيد الله بن معمر والمهلب بن صفرة وعبد الله بن خازم، كما ضرب بعض رؤساء الخوارج دراهم كتبوا عليها أسماءهم أيضا على غرار قطري بن الفجاءة .

5- الإصلاح النقدي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان :

رغم أن المحاولات الأولى لتعريب النقود وصبغها بالصبغة الاسلامية بدأت على عهد الخليفة عمر رضي الله عنه إلا أنها لم تكن جذرية بل كانت مجرد محاولات يسيرة تم فيها إضافة عبارات عربية وأسماء لبعض الخلفاء أو الامراء ولم ترق لتكون إصلاحا نقديا شاملا ، فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان (65-86هـ)الخليفة الاموي الخامس شرع في عملية إصلاح النقد وتعريبه. وقد كانت هناك أسباب متعددة دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب النقود هي :

1.5-الأسباب غير المباشرة :

تعتبر الأسباب الحقيقية وراء الإصلاح النقدي الذي قام به الخليفة عبد الملك بن مروان ويمكن إجمالها فيما يأتي :

أ- الأسباب الاقتصادية :

كانت الدولة الاسلامية بحاجة متزايدة للأموال بسبب اتساعها وأيضا بسبب الفتوحات التي كانت تكلف بيت المال الكثير بالإضافة إلى التهديدات المحدقة بها سواء الخارجية أو الداخلية، لذلك كان من الضروري توفر سيولة نقدية معتبرة لسد تلك الحاجيات التي تضاعفت بمرور الوقت.

كما أن هناك علاقة وثيقة بين تنوع الدراهم واختلاف قيمها، وبين كمية إيرادات بيت المال، إذ كان دافعو الخراج يؤدون ما بذمتهم من حقوق إلى بيت المال بالدراهم قليلة الوزن ويحتفظون بالدراهم ذات الاوزان المرتفعة مما يسبب حيفا وخسارة لبيت المال، لذلك أصبح من الضروري ضرب عملة شرعية موحدة الأوزان تستوفي من خلالها الدولة حقوقها وترفع الضرر عن الناس.

ومن جهة أخرى فإن سيطرة الدولة على دور الضرب سوف يمكنها من تحصيل إيرادات إضافية لبيت المال، لاسيما أن الخليفة عبد الملك بن مروان سمح للناس بإعادة ضرب ما يملكون من نقود داخل دور الضرب مقابل دفع ثمن لبيت المال يقدر بدرهم واحد لكل مئة .

كما أن أنواع النقود قد تعددت واختلفت بالتالي أوزانها وقيمتها ولا سيما الدراهم الساسانية فقد "كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم فجاء الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة" ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: "...وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم...إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم" كما كثر تزييف العملة وإنقاص وزنها ولاسيما الذهبية منها فانعكس ذلك سلبا على السياسة النقدية وبيت المال فانخفضت قيمة العملة وارتفعت الأسعار ونقصت بالتالي موارد الخراج.

وقد ازدادت في تلك الفترة الحاجة إلى السيولة النقدية لاتساع النشاط الاقتصادي عموما والمالي على وجه الخصوص إضافة إلى عدم استقرار العلاقات الاسلامية البيزنطية، فيقول البلاذري متحدثا عن شح الدنانير البيزنطية:"فمكثت حينا لا تصل إليهم"، وعليه فقد أصبحت الحاجة ملحة لضرب عملة إسلامية خالصة تفي بحاجات الدولة المتزايدة وتعتق اقتصادها من التبعية الأجنبية.

ب-الأسباب السياسية :

عمل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على إنهاء التأثيرات الاجنبية الوافدة من بلاد فارس وبيزنطة، فالدراهم الفارسية كانت ترمز إلى الهيمنة الكسروية على اراض واسعة من البلاد العربية فضلا على ان دور الضرب كانت ولا تزال تحت السيطرة الفرس بطريقة أو أخرى مما أثر بالسلب على اقتصاد الدولة الاسلامية.

أما الدولة البيزنطية فكانت المورد الرئيسي للدنانير الذهبية مما جعل الخلافة باستمرار تحت وطأة الضغوط السياسية للبيزنطيين لدرجة أن الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني عدّ سك النقود داخل مملكته حق غير قابل للمساس وشكل من أشكال السيطرة والخضوع فكان لزاما على الخلافة أن تتخلص من كل مظاهر التبعية الأجنبية سواء الفارسية او البيزنطية.

وأما على الصعيد الداخلي فقد أراد عبد الملك بن مروان حصر حق ضرب النقود بشخص الخليفة وحده وتحت إشراف الدولة المباشر ومنع غيره من ضربها باعتبارها رمزا لسيادة الدولة وهيمنتها وعنوان قوتها واستقلالها.

ونظرا لتصاعد المد القومي-الاسلامي حينها فقد كانت رغبة الخليفة قوية في صبغ الدولة بصبغة عربية إسلامية خالصة ليس فقط في الجانب المالي إنما في مختلف المجالات ، وكان كنتيجة لتلك الإصلاحات الجذرية التخلص من الهيمنة الأجنبية بشكل نهائي.

ت-الأسباب الدينية :

كانت النقود المتداولة قبل تعريبها مختلفة الأوزان والقيمة مما سبب إشكالات في تأدية الحقوق الشرعية وفي مقدمتها الزكاة والخراج، لذلك بات من الضروري ضرب النقود على الوزن الشرعين ويؤكد ذلك المقريزي بالقول: "إن الذي دعا عبد الملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم كانت على وجه الدهر سوداء وافية وطبرية عتقا فلما نظر عبد الملك في أمور الأمة، قال: إن هذه الدراهم بقى مع الدهر وقد جاء في الزكاة أن في كل مائتين أو في كل خمس أواق خمس دراهم وأشفق أن جعلها على مثال السود العظام مائتين، يكون في ذلك بخسا للزكاة وإن عملها كلها الطبرية،... كان في ذلك حيف وشطط على رب المالن فاتخذ عبد الملك منزلة بين منزلتين فيها كمال الزكاة من غير بخس ولا ضرر بالناس مع موافقة ما سنه رسول الله صلى الله وحده مع ذلك".

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه النقود كانت تحمل نقوشا وكتابات تتضمن معتقدات تتعارض مع مبادئ العقيدة الإسلامية ومنها نقوش الصليب والنار المجوسية إضافة إلى صور آدمية ونصوصا أجنبية.

2.5- الأسباب المباشرة (حادثة القراطيس):

لقد اعتبر المؤرخون حادثة القراطيس السبب الرئيس والمباشر الذي دفع الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب النقود وأسلمتها لأنها استفزت الشعور الاسلامي بسبب مساسها بالعقيدة الاسلامية، وقد لخص البلاذري حادثة القراطيس بقوله :" كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من (قل هو الله أحد)...فكتب إليه ملك الروم : إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، فكبر ذلك في صدر عبد الملك، فكره أن يدع سنة حسنة سنّها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وأشار عليه خالد بأن يضرب النقود"، أما البهيقي فيذكر أن الذي أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب النقود هو محمد بن علي بن الحسين (الباقر).

6- مراحل الإصلاح النقدي وتعريب النقود:

أشارت عديد المصادر التاريخية إلى المحاولات الأولى في تعريب النقود والتي قام بها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام من خلال ضرب دراهم إسلامية على غرار الدراهم الفارسية بعد أن زاد فيها عبارة "الحمد لله" أو "محمد رسول الله" أو "لا إله إلا الله وحده" ، كما أشارت المصادر إلى ضرب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه للدراهم بعد أن زاد فيها عبارة "الله أكبر" ، كما ضرب الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان دراهم ونقش عليها اسمه .كما ضرب غيره نقودا مشابهة ومنهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

غير أن حركة التعريب الشاملة أخذ زمامها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ) وكانت جزء من حركة تعريب كبيرة تضمنت جميع مؤسسات الدولة وامتدت عملية تعريب النقود هذه من سنة 72هـ إلى غاية 78هـ، وشملت الدينار والدرهم والفلس وقد مرت بمراحل ثلاث رئيسية :

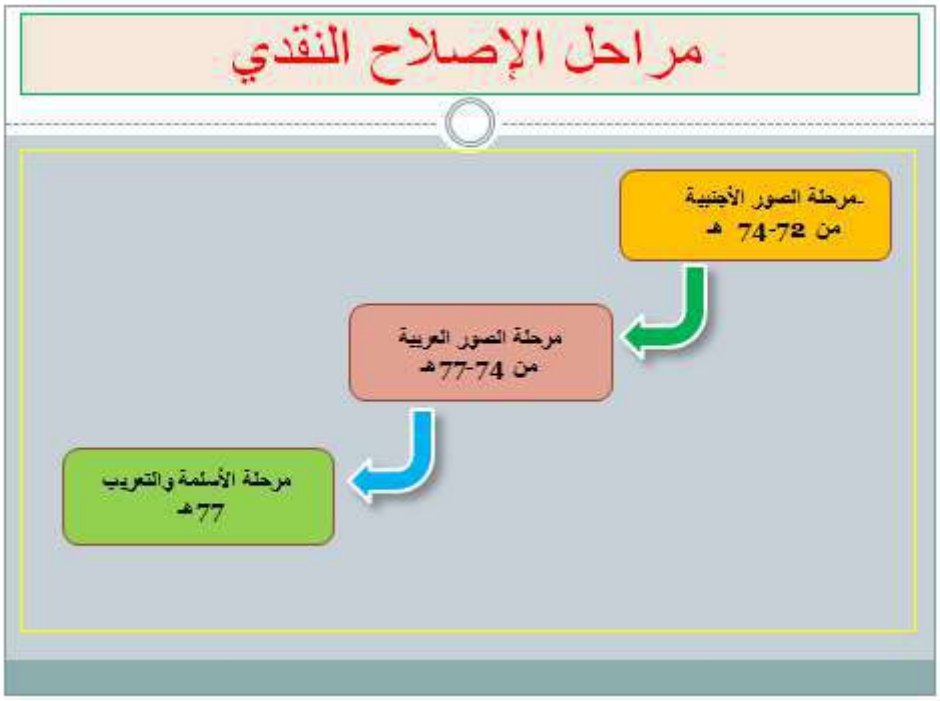

1.6- مراحل تعريب الدينار:

من خلال ما وصلنا من الدنانير البيزنطية فقد كانت تشتمل هذه الاخيرة في أحد وجوهها على صورة الإمبراطور البيزنطي وعل يمينه إبنه قسطنطين وعلى يساره إبنه هرقليانوسن ويحمل كل منهم تاج ينتهي بصليب وبأيديهم نجد العصا المطرانية وهي عن صليب طويل، أما ظهر الدينار فنرى مدرجا يعلو صليبا وفي الهامش كتابات لاتينية تتضمن مكان الضرب وعبارات دعائية.

أما الدينار الاسلامي فقد مر في تعريبه وأسلمته بثلاث مراحل رئيسية وهي :

أ- مرحلة الصور الأجنبية :

امتدت هذه المرحلة من سنة 72 إلى غاية 74هـ، وأثناءها قام الخليفة عبد الملك بتحوير جميع الصلبان مع إضافة عبارات إسلامية على ظهر الدينار، غير أنه في المقابل أبقى على الصور الأجنبية ومنها صور الامبراطور وابنيه.

ب- مرحلة الصور العربية :

امتدت هذه المرحلة ما بين سنتي 74 و77هـ، وخلالها قام الخليفة الاموي بإزالة صورة هرقل وولديه وختم الملك، ومقابل ذلك وضع صورة خليفة يرتدي ملابس عربية وبيمينه يحمل سيفا، وعلى الهامش نقرأ "بسم الله، لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله"، وحول المدرج والعمود في الظهر نقرأ كتابة بالخط الكوفي:"بسم الله، ضرب هذا الدينر سنة خمس وسبعين".

ج- مرحلة الأسلمة والتعريب :

ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دنانير عربية خالصة لأول مرة في التاريخ الاسلامي في أواخر عام 77هـ، حيث أزيلت جميع التأثيرات الأجنبية كما أزيلت صورة الخليفة واستبدلت تلك الصور والنقوش بكتابات إسلامية عربية خالصة.

2.6- مراحل تعريب الدرهم :

إن عملية تعريب الدرهم كانت على ما يبدو أكثر تعقيدا من تعريب وإصلاح الدينار، بسبب تعدد مراكز الإصدار ودور الضرب وبالتالي كثرة أنواع الدراهم، وقد كان وجه الدرهم الساساني يحمل صورة لوجه كسرى تطوقها دائرة عليها أهلة ونجوم إضافة إلى كلمات للنصر، أما الظهر فنجد في مركزه النار المجوسية محاطة بحارسين مدججان بالسلاح بالإضافة إلى كتابة بهلوية تحمل مكان وتاريخ الضرب. ومن المؤكد أن هذه العملية مرت بمراحل شأنها شأن الدينار.

أ-المرحلة الأولى :

خلال هذه المرحلة ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دراهما على الطراز الساساني وأضاف لها عبارات إسلامية وهي **"بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله"** بخط كوفي، مع كتابة مكان الضرب.

ب-المرحلة الثانية :

قام الخليفة عبد الملك بن مروان بنقش صورة على ظهر الدرهم تمثل رجل بزي عربي يتقلد سيفا وكتب بجانبي هذا النقش عبارة بالخط الكوفي حيث نجد على يمين الصورة :" أمير المؤمنين" وعلى يسارها " خلفت الله"، أما على وجه الدرهم فنقشت كما كان سابقا صورة وجه كسرى الثاني وكتب على يمينها "ضرب سنة خمس" وعلى اليسار "وسبعين"، وكتب على الهامش "بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله".

ج-المرحلة الثالثة :

في المرحلة الاخيرة ضرب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان دراهم إسلامية خالصة، حيث اختفت التأثيرات الأجنبية واستبدلت بعبارات وكتابات عربية بخط كوفي كما اختفت صورة الملك، وكان ذلك عام 77هـ.

3.6- تعريب الفلوس :

ليس من السهولة تحديد المراحل التي مر بها تعريب الفلوس على غرار ما كان بالنسبة للدينار والدرهم، وذلك لقلة ما وصلنا إلينا من هذه النقود النحاسية، وللعلم فقد كانت ترد المسلمين الفلوس من بيزنطة، فعلى مركز الوجه نجد صورة الإمبراطور وبجانبيه صليبين إضافة إلى كتابة لاتينية على الهامش، أما مركز الظهر فنقش الحرف اللاتيني (M) الذي يرمز لقيمة الفلس يعلوه صليب، وعلى اليمين نجد مكان الضرب أما على اليسار فنرى أعدادا رومانية ترمز لقيمة الفلس وهي (XXI).

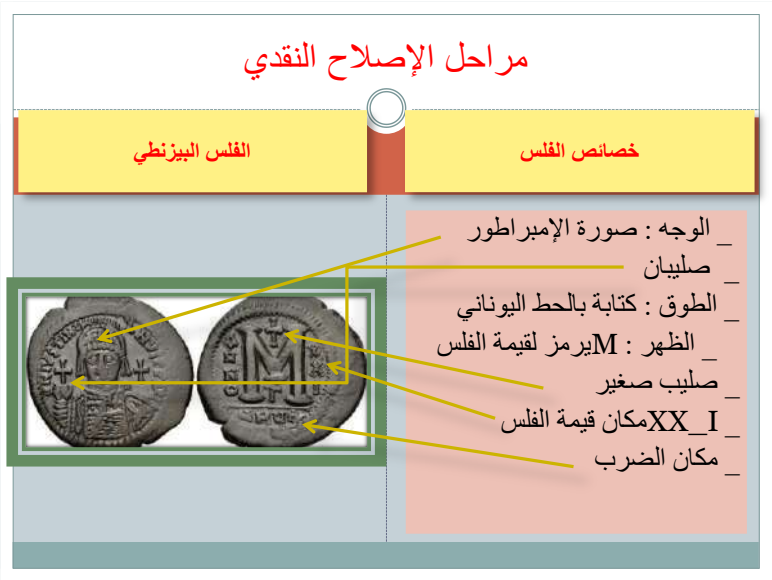

أما ما وصلنا من نقود نحاسية العائدة إلى عبد الملك بن مروان فتحمل صورة تمثل الخليفة متقلدا سيفا وعليها عبارات إسلامية مختلفة وبعضها يحمل إسم الخليفة عبد الملك بن مروان إلى جانب بعض التأثيرات الأجنبية في ظهر الفلس.

وأما الفلس الإسلامي الخالص فكان يحتل مركز وجهه عبارة "**لا إله إلا الله وحده**" وفي الظهر نقرأ "**محمد رسول الله**"، وللعلم فإن الفلس عكس الدينار والدرهم لم يخضع في فترة ما بعد التعريب لأوزان ونقوش وكتابات ثابتة وفي غالب الاحيان لم يكن يذكر عليه تاريخ الضرب .

ومن أجل تعميم عملية أسلمة وتعريب النقود وإصلاحها ثم نشرها قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء دار لسك النقود ومنع الناس بالتالي من ضرب النقود خارج دور السكة التابعة للخلافة وأوجب التعامل بنقود الدولة الجديدة دون سواها سواء المحلية أو الأجنبية .

7- تطور المسكوكات الإسلامية في العهد العباسي :

عقب سقو ط الخلافة الأموية سنة 132هـ/750م إنتقلت السلطة إلى أيدي العباسيين، وقد اعتمدت الخلافة العباسية في بداية أمرها على النظام النقدي الاموي دون تغيير في الشكل العام أو الوزن، وبما أن

النقود تعد رمزا للدولة في العهد الإسلامي فقد استبدل الخليفة أبو العباس اقتباس سورة الاخلاص من مركز ظهر الدنانير والدراهم بعبارة "محمد رسول الله" لإعلان قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيما عدا ذلك استمر استعمال كتابة الاقتباسات القرآنية والعبارات الدينية السابقة على الدنانير الجديدة .

وفي خلافة أبي جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م) سجل ابنه "المهدي محمد" على الدراهم منذ سنة 145هـ كما شهدت فترة حكمه بناء بغداد وإنشاء دار السكة بها والتي بدات إصدار النقود منذ 146هن كما بدا في عهده نقس أسماء الولاة أو الحروف الاولى من أسمائهم على الدراهم .

ولما تولى المهدي الخلافة (158-169هـ/ 775-785م) سجل اسمه على الدراهم كما اضاف عبارة "صلى الله عليه وسلم" على الدراهم لاول مرة كما سجل اسم ولديه "الهادي" و"هارون الرشيد" على النقود الفضية .

في عهد هارون الرشيد 170-193هـ/786-809م) ضربت الدنانير في ذلك العام وسجل عليها "عبد الله هارون امير المؤمنين" وهو أول خليفة يسجل اسمه على الدنانير الاسلاميةن أما الدراهم فسكت باسمه وباسم أبنائه الثلاثة؛ الامين والمأمون والمؤتمن الذين عهد إليهم بولاية العهد من بعده .

أما الخليفة المأمون فقد أضاف للوجه هامشا خارجيا كتب عليه الآيتين الرابعة والخامسة من سورة الروم " لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"، وذلك بمناسبة انتصاره على أخيه الأمين واعتلائه عرش الخلافة، كما استكمل الاقتباس القرآني بهامش الظهر والمعروف بالرسالة المحمدية بعبارة "ولو كره المشركون"، وذات التطورات شهدها الدرهم ، كما أضاف البسملة كاملة قبل تاريخ الضرب.

وفي عهد الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م) بدات مرحلة جديدة حيث وحدت نصوص كتابات الدنانير والدراهم، ومن جهة أخرى شهدت هذه المرحلة تقلص نفوذ الخلافة العباسية

بسبب ظهور الدويلات المستقلة التي ضربت نقودا باسمهان كما شهدت هذه المرحلة بداية اختفاء النقود النحاسية من النظام النقدي للخلافة.

8- تطور المسكوكات الإسلامية في بلاد المغرب:

لقد انتهج العرب الفاتحون في بلاد المغرب والأندلس سياسة نقدية لا تختلف كثيرا عن السياسة التي اتبعها المسلمون في بلاد المغرب، حيث ضرب حسان بن النعمان عام 80هـ /699م نقودا نحاسية على الطراز البيزنطي العربي كتب عليها اسم "النعمان"، مع الاستمرار بتداول النقود البيزنطية والتعامل بها، ثم اتبع بعد ذلك الولاة خطوات إصلاحية تدريجية منذ عهد الوالي موسى بن نصير، وعموما فقد تاخر تعريب الدينار وإصلاحه عنه في بلاد المشرق، فكان لابد من التدرج في تعريبه وأسلمته ففي الوقت الذي كانت تضرب فيه الدنانير في المشرق الاسلامي على الطراز الاعربي الاسلامي الخالص كانت لا تزال الدنانير تضرب في إفريقية على الطراز اللاتيني ، ففي المرحلة الأولى قلد فيها العرب أنواع النقود المتداولة في هذا الإقليم وهي النقود الهرقلية، أما المرحلة الثانية فامتازت بحذف العبارات اللاتينية وحلت محلها عبارات إسلامية تشير إلى عقيدة التوحيد، بينما امتازت المرحلة الثالثة بحذف الصور البيزنطية وتحوير الصليب واستعملت اللغتان العربية واللاتينية. اعتبارا من سنة 97-98هـ سجلت شهادة التوحيد لأول مرة في تاريخ السكة المغربية في مركز وجه الدينار (لا إله إلا الله) وعلى مركز الظهر (محمد رسول الله) مع الإبقاء على الكتابة اللاتينية في هامش الدينار والتي تشير إلى مكان وتاريخ الضرب.

وفي **ولاية إسماعيل بن عبيد الله** عربت النقود المغربية تعريبا خالصا بحيث خلت من جميع التأثيرات اللاتينية، وقد جاءت على غرار الدينار الأموي بدمشق من حيث الشكل والحجم والوزن وكان ذلك سنة 101هـ.

ومما نشير إليه أن النقود التي ضربت ببلاد المغرب في **عهد الولاة الأمويين** ثم من بعدهم **الولاة العباسيين** لم تكن تختلف من حيث عباراتها الدينية واقتباساتها القرآنية كثيرا عن النقود التي سكت بالمشرق خلال الخلافتين الأموية والعباسية، بحيث نجد على مركز الوجه الأول شهادة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وفي الطوق (الهامش) مكان وسنة الضرب، وضم مركز الوجه الثاني سورة الإخلاص خلال الفترة الأموية وعبارة (محمد رسول الله) إضافة إلى اسم الوالي خلال الفترة العباسية، وفي الطوق الاقتباس القرآني (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون).أما من الناحية الفنية فاستعمل الخط الكوفي البسيط الخالي من الاعجام.

خلال العهد الأغلبي (184–296هـ) ضربت النقود الذهبية على طراز السكة العباسية ووفق عيار جيد ووزن مرتفع يقترب من الوزن الشرعي، جاءت كتاباتها مماثلة للدنانير العباسية، حيث كتب على الوجه شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وكتب على الظهر عبارة (محمد رسول الله) بالإضافة إلى اسم الأمير وتاريخ الضرب. كما كتب شعار الدولة "غلب" بأعلى كتابات مركز الظهر. ومما يلاحظ على السكة الأغلبية الذهبية خلوها من ذكر مكان الضرب، وهي ظاهرة لازمت سكة الإمارة طوال تاريخها بينما ذكر مكان الضرب على النقود الفضية، هذه الأخيرة ضربت على نفس الطراز العام للدراهم العباسية مع تسجيل اسم الأمير وشعار الدولة عليها. وقد تميزت هذه النقود بالجودة والإتقان مقارنة بنقود الولاة السابقين للعهد الأغلبي وذلك إنما راجع إلى النماء الاقتصادي الذي شهدته تلك الدولة.

وتعتبر **المسكوكات الفاطمية** في بلاد المغرب من أجمل وأعظم المسكوكات في العالم الإسلامي عامة منذ القرن الرابع للهجرة من حيث تنوع نصوصها وجمال نقوشها ودقة وزنها وضبط عيارها ونقاوة معدنها، والملاحظ أن النقود الفاطمية في مراحلها الأولى سارت في شكلها العام ونصوص كتاباتها على ذات نمط النقود الأغلبية مع إضافة اسم وألقاب الخليفة الفاطمي وبصفة خاصة نقود الخليفة المهدي، غير أن النقود الفاطمية شهدت تطورات جديدة في عهد الخليفة القائم بأمر الله شكلا ومضمونا، حيث ظهرت تصميمات جديدة مع إضافة هامش كتابي جديد يحمل الية الكريمة "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم"، ثم استمر التطور نفسه في عهد الخليفة المنصور مع اختلاف في شكل النقود.

وقد حملت هذه السكة شعارات مذهبية جديدة مثل (محمد رسول الله–علي ولي الله) و(علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين) و(محي سنة سيد المرسلين ووارث مجد الأئمة المهديين) و(علي بن أبي طالب وصي الرسول نايب الفضول وزوج الزهراء البتول).

كما يجب الإشارة إلى أن السكة الفاطمية امتازت بذكر مكان وتاريخ الضرب، إلا أن بعض النماذج اكتفت بذكر التاريخ دون مكان الضرب على غرار السكة الأغلبية الذهبية. ومما يجب تسجيله أيضا هو تعدد الهوامش من هامش واحد إلى ثلاث هوامش مع اختفاء المركز.

أما فيما يخص السكة الفضية في عصر الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي فقد شهدت هي الأخرى نفس الأدوار التي عرفتها السكة الذهبية في تطورها الفني، حيث كانت في بدايتها عبارة عن قطعة مستديرة تتكون من مركز وهامش واحد بحيث لا تختلف عن السكة الفضية الأغلبية، إلا أنه في عهد المعز لدين الله أصبحت تتكون من ثلاث هوامش بينما اختفى مركز الدرهم. والملاحظ أن الدراهم التي ضربت في عهد عبيد الله والقائم بالله والمنصور بالله خلت من العبارات المذهبية الشيعية فجاءت نصوصها موافقة لمذهب المغاربة السني من خلال ذكر الشهادتين.

غير أن التطور الذي شهدته المسكوكات الفاطمية لاسيما في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي لم يقتصر على استخدام عبارات قرأنية ودينية جديدة دعاية للمذهب الشيعي فحسب، بل امتد أيضا إلى الشكل العام لهذه المسكوكات من خلال ابتكار تصميم جديد ومميز لم يسبق استخدامه من قبل، وهو عبارة عن مركز وثلاث هوامش وقد يكون المركز عبارة عن نقطة أو دائرة مطموسة، وأحيانا ينقش فيه سطر واحد يليه ثلاثة هوامش، وهو شكل فريد ما يعكس رغبة الخليفة المعز في صبغ المسكوكات الفاطمية بشخصية متميزة.

في بداية **العهد الزيري** وبعد انتقال الفاطميين إلى القاهرة (362هـ)استمرت النقود المغربية في القيروان والمهدية والمنصورة تضرب على طراز السكة الفاطمية وبأسماء خلفاءهم، وكانت تبعية الزيريين للخلافة واضحة بحيث كان ينقش على النقود اسم الخليفة الفاطمي، ولم يكن الاختلاف بين السكة

الفاطمية المضروبة بمصر وبين السكة المغربية المضروبة بإفريقيا إلا مكان الضرب. إلا أنه ابتداء من سنة 441هـ وفي عهد المعز بن باديس الذي استقل عن الخلافة الفاطمية وأقام الدعوة للخليفة العباسي ببغداد اتخذت السكة الزيرية طرازا محليا مستقلا عن النقود الفاطمية، حيث كتب على وجه الدنانير كتابة مركزية بشكل أفقي تشير إلى الشهادتين (لا إله إلا الله- وحده لا شريك له- محمد رسول الله) بينما نقش على الهامش عبارة الرسالة المحمدية (محمد رسول الله" أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله") وكتب على الظهر في مركز الدينار:(ومن يبتغ غير- الإسلام دينا- فلن يقبل منه) وكتب على الهامش تاريخ ومكان الضرب. وهي في عمومها كتابات مناهضة للفاطميين.

كما كتب أيضا على هامش الوجه في بعض الدنانير الآية 44 من سورة الأحزاب (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله) والآية 105 من سورة الأنبياء(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وهذه الآيات المذكورة آنفا تمثل اتجاها سنيا صريحا ورفضا للمذهب الشيعي، كما لم يسبق أن كتبت على السكة المغربية، إلا أنه وعقب الزحف الهلالي على بلاد المغرب عادت السكة الفاطمية بشعاراتها وأسماء خلفائها وصارت تضرب بالمدن الهامة كالمهدية التي أصبحت عاصمة للدولة بعد تدمير بني هلال لتونس والقيروان.

أما في **العصر الحمادي** فيبدو أن السكة الفاطمية على تنوعها استمر تداولها كعملة رسمية في الدولة إلى غاية فترة حكم آخر أمراهم يحيى بن العزيز الذي رفض التعامل بها وضرب نقودا على طراز الدنانير العباسية سواء من حيث الشكل أو الحجم، ولا يبدو الاختلاف إلا في الآية القرآنية 281 من سورة البقرة التي كتبت على هامش الوجه ونصها: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) مع الإشارة إلى وجود مكان وتاريخ الضرب.

مع مجيء **المرابطين** وسيطرتهم على بلاد المغرب خلال منتصف القرن الخامس الهجري وسيطرتها على معظم بلاد المغرب والأندلس، صار النظام النقدي قائما بصورة رئيسية على قاعدة الذهب وأصبح الدينار العملة الرئيسية وضربت منه الأجزاء كالنصف والربع والثمن. وقد سكت حينها النقود الذهبية ذات الجودة العالية والعيار المرتفع والذي بلغت نسبة نقاوته 100/96، وذاع صيتها حتى في أوروبا، إلا أنه من مميزات السكة المرابطية تمسكها بالشعار الديني الذي يدل على توجههم المذهبي السني والمتمثل في الآية القرآنية 85 من سورة آل عمران ونصها: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وفي الآخرة من الخاسرين). ومما تجدر الإشارة إليه أن المرابطين لجأوا إلى استبدال كلمة "سنة" بكلمة "عام" وهذا تغيير رئيسي لم تشهده السكة الإسلامية منذ تعريبها في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، كما أضيفت عبارتان جديدتان إلى كتابة هامش الوجه وهما (بسم الله) و(آمنت بالله) التي صارت إحداهما تسبق الآية القرآنية. كذلك استخدم خط النسخ إلى جانب الخط الكوفي بأنواعه البسيط والمورق في تنفيذ الكتابات.

أما الدراهم المرابطية التي سميت بـ"القراريط" فكانت قليلة الاستعمال وتميزت بعدم ذكر تاريخ الضرب وخلوها من الكتابات التي كانت تكتب على الهامش إلا في حالات نادرة، إلا أنه من أبرز مميزاتها ظهور عبارات جديدة وهي (صلوات الله عليه) و(علي ولي الله) و(ربنا عليك توكلنا وإليك المصير). أما القيراط فكان يبلغ وزنه غرامين فقط ويبدو أن الأجزاء الصغيرة من القيراط كانت تستخدم في العمليات التجارية البسيطة نظرا لعدم وجود الفلس في النظام النقدي المرابطي.

خلال **العهد الموحدي**(524-668هـ) إعتمد النظام النقدي الموحدي على قاعدة الذهب والفضة حيث ضربت نقود ذهبية وفضية ذات صيت عالمي واستمر تداوله في اوروبا لفترات طويلة ، وأحدث الموحدون تطورا كبيرا في الشكل إذ أصبح مركز الدينار عبارة عن مساحة محاطة بمربع مشكل من خطين أو أكثر ويحيط بهذا المربع دائرة ذات خطين فأكثر، أما هامش النقد فكان يتشكل من أربع

مساحات. وهذا الشكل الجديد الذي نسب إلى المهدي بن تومرت صار النموذج الأصيل الذي احتذته الدويلات التي تمخضت عن سقوط دولة الموحدين بل وانتقل هذا التصميم إلى العديد من دول بلاد المشرق.

وقد اشتمل الدينار الموحدي في مركز الوجه على عبارات تتضمن البسملة والشهادتين وأضيف إليها عبارة "الحمد لله وحده" منذ عهد أبي يوسف يعقوب، ثم عبارة المهدي إمام الأمة، أما الهامش فسجلت عليه الآية الكريمة " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" وهي تمثل شعار مذهب التوحيد ودولة الموحدين وقد استبدلت منذ عهد الخليفة الناصر باسم الحاكم المحدي والقابه ونسبه والذي استكمل بكتابات مركز وهامش الظهر. ومما يلاحظ على السكة الذهبية الموحدية هو عدم ظهور تاريخ الضرب وأحيانا مكان الضرب.

أما النقود الفضية فضربت في بداية العهد الموحدي على الطراز المرابطي، حملت في وجهها اسم عبد المؤمن بن علي وعلى الظهر الآية القرآنية (الحمد لله رب العالمين) دون الإشارة إلى مكان الضرب، وفي المرحلة الثانية سكت نقود فضية ذات شكل مربع باسم عبد المؤمن، أما في المرحلة الثالثة فضربت دراهم بطرز مختلفة وبأعداد كبيرة ذات كتابات نسخية أو كوفية مع ذكر مدن الضرب أحيانا وأحيانا بدون ذكرها.

عقب انهيار الدولة الموحدية ضرب **الحفصيون** و**الزيانيون** و**المرينيون** نقودا لا تختلف كثيرا عن النقود الموحدية سواء من حيث الشكل أو المضمون.

فالدولة الحفصية سارت على ذات النظام النقدي للدولة الموحدية حيث ضرب امراءها الدنانير المضاعفة والدراهم المربعة، وقد استمرت دولة بني حفص في تونس حتى خضوعها للخلافة العثمانية بعد ذلك في القرن العاشر الهجري.

أما في العهد الزياني بالمغرب الأوسط فقد اعتمد في النظام النقدي على قاعدة الذهب وسك حكامها الدنانير المضاعفة والتي اتخذت في شكلها العام التصميم المربع الذي ابتكره الموحدون وسارت أيضا على نفس الوزن، غير أن الدنانير الزيانية اختلفت نصوصها عن نصوص الموحدين. وقد اشتمل مركز الوجه على عبارات دينية مثل البسملة وشهادة التوحيد والرسالة الموحدية وعبارة "ما أقرب فرج الله" ثم استعملت عدة اقتباسات قرآنية مثل الآية 90 من سورة النحل. بينما خصص مركز الظهر لتسجيل اسم السلطان الزياني وألقابه وبعض الادعية له. أما هامش الوجه فكان يسجل به بعض الكتابات الدينية بينما نقش بهامش الظهر اسم مكان السك والدعاء له. وعندما ضعفت الدولة الزيانية وخضع حكامها للخلافة العثمانية ضربت دنانير سجل عليها اسم وألقاب السلطان العثماني وذلك خلال عهد أبي محمد عبد الله الثاني وأبي عبد الله محمد الثامن.

وفي العهد المريني قام الأمراء بضرب نقود على الطراز الموحدي وتميز الشكل العام للدنانير المرينية بوجود ثلاث مربعات حول كتابات المركز، وأحيانا مربعين فقط بينما يحيط بالمربعات أربعة هوامش.

وقد تضمنت كتابات مركز الوجه عبارات دينية مثل البسملة والتصلية والحمدلة والشهادتين، أما كتابات مركز الظهر فسجل عليها اسم وألقاب الحاكم المريني، أما كتابات الهامش فكانت تحمل بعض العبارات الدينية والاقتباسات القرآنية مثل الآية "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" والآية "هو الأول والآخر والظاهر والباطن و وهو بكل شيء عليم كما سجل أحيانا مكان الضرب بكتابات هامش الظهر مع بعض العبارات الدعائية. وقد شهدت نصوص كتابات النقود الذهبية في عهد السلطان أبي عبد الله محمد الثاني تطورا مهما تمثل في حذف العبارات الدينية من كتابات مركز الوجه وكتابة بدلها إقتباسات قرآنية. وقد تلقب بني مرين بعدة ألقاب وهي "أمير المؤمنين و"أمير المسلمين" وأحيانا "السيد".

خلال **العهد العثماني** طرأ تغيير جذري في مضامين الكتابات، فاذا كانت الشهادتان والرسالة المحمدية والاقتباسات القرآنية من بين الأسس التي سارت عليها مضامين السكة الإسلامية عموما وعبر تاريخه الطويل، فإن الطراز العثماني استبدلها بالألقاب الفخرية والأدعية السلطانية مثل : (ضارب النصر صاحب العز والنصر في البر والبحر) و(مالك البرين والبحرين والشام والعراقين) و(صاحب العدل المؤيد) و(صاحب النصر والعدل والأمان) وغيرها من الألقاب التي تم تداولها على النقود. إلا أنه من ضمن المميزات الأساسية للسكة العثمانية هو اختفاء أسماء الحكام واستبدالها باسم السلطان أو الخليفة العثماني كما كان الحال عليها في العهود الإسلامية الأولى.

ومما يلاحظ أن الجزائر في الفترة العثمانية عرفت أنواعا مختلفة من النقود الذهبية وهي الدينار التقليدي والسلطاني بنوعيه الذي صارت دار الضرب بالجزائر تضربه على منوال الطراز العثماني باسطنبول والذي عرف انخفاضا معتبرا في عياره، ومن جهة أخرى صارت النقود الفضية هي الوحدة الأساسية في التعامل النقدي وقد امتازت بتقنيات عالية لا نجدها في السكة الذهبية أو النحاسية.

9- صناعة السكة:

عند ورود المعادن إلى دار السكة يقوم فريق من المختصين بصهرها عدة مرات وتصفيتها واستخلاصها من الشوائب العالقة بها من خلال طريقة التجفين أو التعليق، والتي تعد أهم الطرق التي اتبعت في استخلاص المعادن وتنقيتها. بعد ذلك تأتي مرحلة أخرى تتمثل في تحديد نقاوة المعدن وضبط

عياره، وعقب الانتهاء من عملية التنقية وضبط العيار تأتي عملية السك كمرحلة أخيرة والتي عادة ما يتم تنفيذها إما بطريقة الصب أو بطريقة الطرق.

1.9- إعداد قوالب السك:

أ-القوالب المحفورة مباشرة:

طريقة الحفر هذه هي الطريقة التقليدية التي اتبعها المسلمون لإنتاج قوالب للسك من الحديد أو البرونز، وتساعد هذه الطريقة على إبراز الكتابات على النقود بشكل واضح دون نتوءات ظاهرة على سطح القطعة النقدية، إلا أنه من سلبياتها عدم مقاومة تلك القوالب لمدة طويلة نتيجة الضرب المستمر، وهذا الأمر كان يتطلب توفير عدة قوالب محفورة مباشرة، ومثل هذه القوالب كان بحاجة إلى وقت طويل لتنقش عليها كتابات كثيرة ومعكوسة وهو أمر لم يكن يسيرا.

ويمكن تبين آثار الضرب بقوالب محفورة مباشرة من خلال ما عثر عليه من نقود، حيث تظهر الحروف بارزة بروزا واضحا مع دقة الكتابة وعدم طمس فجواتها، كما أن حلقات الكتابات تظهر قائمة ولا أثر للاستدارة فيها.

ب- القوالب المصبوبة:

بما أن طريقة الحفر المباشر على قالب الضرب لم تكن تستعمل إلا في أضيق الحدود لاسيما وأن هناك طريقة أسرع لإنتاج نماذج واحدة من قوالب الضرب، تلك طريقة صنع قوالب مستمدة من القالب الأصلي المحفور من مادة الرصاص لأنه معدن مرن و لين، ومن السهل رفع القالب المعدني الجديد بعد تبريده ونسخ آخر بسرعة وهذه هي أسرع وسيلة للحصول على قوالب مصبوبة من نسخة أصلية، وهي الطريقة التي شاع استعمالها في صنع قوالب السكة الإسلامية منذ العصر الأموي.

2.9- صناعة النقود:

1.2.9- طريقة الصب:

- **طريقة الصب في قالب أصلي:** تتم هذه الطريقة باستخدام قالب من الحديد أو البرونز تنقش عليه الكتابات والنقوش مباشرة بشكل غائر ومعكوس، ليعطي بعد صب المعدن المصهور قطعة نقدية تحمل كتابات وزخارف بارزة، أما الوجه الآخر فيتم ختمه بالجزء الثاني من القالب بعد أن يجف المصهور المعدني وقبل أن تفقد القطعة النقدية حرارتها. هذا ويتم استخدام القالب الأصلي في عملية إنتاج النقود بشكل مستمر إلى أن يتعرض للتلف أو التصدع لكثرة استعماله أو لتغير سنة السك أو الحاكم أو رغبة في تغيير العبارات بعبارات جديدة.

- **طريقة الصب في قالب مشتق:** وللقضاء على سلبيات الطريقة الأولى نشأت فكرة إيجاد قالب يتم إعداده بسهولة، لكي تتمكن دار الضرب من إصدار عدد كبير من النقود.

والملاحظ أن النقود المصبوبة في قالب مشتق لا تختلف عن تلك المصبوبة في قالب أصلي إلا بوجود بثور أو نتوءات ، إضافة إلى أن بعض حروفها تكون مطموسة بسبب تلك البثور الناتجة عن فقاقيع الهواء الموجودة في القالب المشتق.

2.2.9- طريقة الطرق :

استخدم المسلمون طريقة الطرق على القالب إلى جانب طريقة الصب بنوعيها في إنتاج النقود، وقد كان يجري العمل في هذه الطريقة باستخدام قالب أصلي أو قالب مشتق.

تبدأ عملية السك بهذه الطريقة بعد صهر المعدن وتصفيته وتنقيته من الشوائب وضبط عياره وصبه سبائك على هيئة قضبان ، يقوم السكاك بإحمائها ثم طرقها لتصبح أكثر تسطحا تم تقطع إلى قطع دائرية.

عقب الانتهاء من عمليتي التدقيق والمعاينة والوزن تأتي عملية السك وذلك بوضع القطعة المعدنية المراد سكها بين قالبي السك سواء كانا أصليين أو مشتقين، ثم يقوم الضرّاب بضرب القالب العلوي ضربة واحدة متزنة.

ومما سلف يتضح أن طريقة الصب أوفر وأسرع وأسهل من طريقة الطرق على القالب، حيث بمقدور دار الضرب أن تنتج أعدادا هائلة من المسكوكات، وهذا ما تسعى إليه كل دولة لترويج سكتها وتشجيع العمليات التجارية في أسواقها، ولذلك كانت طريقة صب النقود خاصة في قوالب مشتقة أكثر انتشارا واستخداما من بقية طرق صناعة سك النقود في معظم دور السكة الإسلامية.

10- أهمية دراسة النقود الإسلامية :

تعتبر المسكوكات الإسلامية تحفا أثرية نفيسة ومادة خصبة ووثائق هامة ذات مدلولات أثرية وتاريخية تنطوي على الكثير من المعلومات والمعارف، سجلت الكثير من المواقف وصححت عديد المفاهيم الخاطئة وعكست إلى حد كبير ما كان يدور في تلك البلدان من أحداث سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو الاجتماعية أو غيرها.

1.10- سياسيا:

تعد النقود أهم شارات الملك والسلطان والتي يحرص كل حاكم على اتخاذها بمجرد توليه الحكم إلى جانب الدعاء له على المنابر وتسجيل اسمه على الطراز، ومظهرا على قدر كبير من الأهمية من مظاهر الحكم والسيادة، ومن جهة أخرى تعتبر سجلا حافلا بأسماء الحكام والخلفاء والولاة وغيرهم،وهذا ما يساعد الآثاري في دراسة الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي وضبط تواريخ حكمها بصورة لا تقبل الشك، كما أن تسجيل مدن الضرب على هذه النقود يوضح بجلاء امتداد نفوذ كل حاكم والأقاليم الخاضعة لسيطرته. هذا وقد تضمنت المسكوكات العديد من الاقتباسات القرآنية التي بينت التوجهات السياسية لكل دولة على مدار تاريخ الدولة الإسلامية الطويل، ومن ذلك ما استخدمه العباسيون من آيات قرآنية كقوله تعالى "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" (الشورى 23) كشعار لثورتهم ضد الخلافة الأموية. ومن أمثلة العبارات الدينية عبارة "أعز الله نصره" التي استعملها العباسيون على فلوسهم في أوائل خلافتهم. كما استخدمت أيضا عبارة "أيده الله" و"أيد الله نصره"على نقود حكام بعض دول المغرب والأندلس.

وقد أدرك الثوار والخارجون عن السلطة المركزية أهمية النقود من الناحية السياسية فحرصوا على ضرب النقود بأسمائهم، كما سجلوا عليها شعاراتهم ومبادئ ثوراتهم وذلك كدعاية لهم بين الناس، ولكن هذه النقود كانت لا تستخدم خارج الإقليم الذي سكت به لأنه لم يسجل عليها اسم الحاكم الشرعي للدولة. ومن أمثلة نقود الثوار الدراهم العربية الساسانية التي سكها عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) خلال ثورته على الخلافة الأموية.

2.10- اقتصاديا :

إن النقود المعدنية على اختلافها سواء الذهبية أو الفضية أو النحاسية كانت هي النقود الرئيسية للدول التي قامت خلال التاريخ الإسلامي، وهي بذلك عكست الحالة الاقتصادية للدول التي سكتها، لان ارتفاع وزنها ونقاء عيارها كان دليلا على التطور الاقتصادي لهذه الدول، كما كان الحال في العصرين الفاطمي والموحدي، كما أن انخفاض وزن النقود وتدهور عيارها كان دليلا على تدهور الحياة الاقتصادية خلال الفترة التي ضربت فيها وهو ما وقع خلال فترة الخلافة العثمانية.

3.10- دينيا :

حملت النقود الإسلامية منذ تعريبها وأسلمتها على يد عبد الملك بن مروان سنة 77هـ ملامح العقيدة الإسلامية والتي تمثلت في الآيات القرآنية والعبارات الدينية ومنها سورة الإخلاص وشهادة التوحيد وكذا الاقتباس القرآني من سورة التوبة "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (التوبة 33).

كما سجل على النقود الإسلامية الشعارات الخاصة بالمذاهب الإسلامية المختلفة، فقد حرص كل حاكم على نقش الشعارات والعبارات التي تعبر عن اعتناقه لأحد المذاهب ومن ذلك ما كان يكتبه الفاطميون على نقودهم مثل "علي ولي الله و"علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين".

وتكمن أيضا أهمية النقود من الناحية الدينية والمذهبية في كونها تعكس المذهب الديني للحاكم الذي أمر بسكها والمحكومين في ذات الوقت، وأحيانا تعبر عن مذهب الحاكم دون المحكومين، وأحيانا تعبر عن مذهب المحكومين دون الحاكم.

4.10- اجتماعيا :

عبرت النقود الإسلامية عن العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة، حيث ضربت بعض النقود تخليدا لبعض المناسبات الاجتماعية كالزواج والمصاهرة والمصالحة والتحالف وغيرها، كما ضربت أخرى لتوزع كهدايا على أولي الأرحام والأمراء ورجال الدولة وكبار قادة الجيش، لذلك كانت هذه العملات تختلف عن النقود العادية المخصصة للتداول من حيث الوزن والكتابات المسجلة عليها في كثير من الأحيان.

5.10- فنيا :

ظهر على النقود الإسلامية زخارف نباتية وهندسية وحتى معمارية، استخدمت كهوامش وفواصل بين الكتابات، كما ظهرت على النقود في حالات نادرة جدا بعض الرسومات الآدمية التي كانت ترمز إلى الخلفاء والحكام.

6.10- إعلاميا :

استخدمت النقود كوسيلة من وسائل الدعاية والإعلام خلال العصر الإسلامي، فقد سجل عليها الحكام والملوك عديد البيانات الهامة إلى الرعية، كما استخدمت لنشر الأفكار والمبادئ الإسلامية كوسيلة من وسائل الوعظ والإرشاد ومن ذلك العبارات التالية:

-"لا إله إلا الله الملك الحق المبين"
- "سبحان الله وبحمده"
- لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر"
- "بركة العمر حسن العمل"
- "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة"
- "ضمن الله رزق كل أحد"
- "ثبات الملك بالعدل".

7.10- من نواحي أخرى:

فمن حيث **الخط العربي**، تعد المسكوكات الإسلامية مدرسة لتعلم أنواع الخط وتطوره، حيث ظهر على هذه النقود العديد من أنواع الخط الكوفي مثل البسيط والمورق والمزهر والمعماري والمربع والمظفر، كما ظهر عليها أنواع من خط النسخ كخط الثلث والطغراء وخط النسخ المغربي. وكانت النقود في هذا الشأن من أهم المصادر التي تساعد في دراسة الخط ومعرفة مراحل تطوره.

كما تبرز أهمية النقود من **الناحية الجغرافية** من خلال ما سجل عليها في غالب الأحيان أماكن ضربها، لذلك ظهرت عليها أسماء العديد من المدن اندثر كثير منها ولم يبق ذكرها إلا على النقود.

ومما يجب الإشارة إليه بهذا الخصوص أن النقود كتب عليها منذ تعريبها تاريخ سكها وقد ساعد هذا الأمر في تحديد ولاية كل حاكم بصورة دقيقة، ومن جهة أخرى لوحظ أن التاريخ الهجري سجل على القطع النقدية بثلاث طرق:

أ- بالحروف العربية ب- بالأرقام ج- بالحروف والأرقام معا.

وهكذا يتبين لنا أهمية النقود في الآثار الإسلامية فهي تعكس جوانب الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وغيرها، وتعد مصدرا جد هام من مصادر دراسة الآثار الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

- **بن قربة صالح**، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي، إلى سقوط دولة بني حماد،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- **رحاحلة إبراهيم القاسم** ، النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م.
- **زيدان جرجي** ، تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.
- **سالم السيد عبد العزيز وآخرون** ، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مجموعة بحوث ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000م.
- **الصايغ خالد** ، النقود الإسلامية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.
- **الكرملي أنستاس ماري البغدادي**، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، 1939م
- **مبيض سليم عرفات** ، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية "من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام 1946"- **محمد الجبري عبد المتعال** ، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989م.
- **محمد رمضان عاطف منصور**، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008م.
- **مورجان فيكتور**، تاريخ النقود، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.
- **النقشبندي ناصر**، الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، المجمع العلمي، 2005م.
- **رزقي فهيمة**، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرتا، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م.
- **يحياوي العمري**، الدراهم المغربية الأندلسية المربعة من خلال مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2004م.

- **السامرائي عبد الجبار محسن** ، "حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان"، مجلة سر من رأى، المجلد 3، العدد 8، السنة الثالثة، كانون الأول 2007.

- **مواقع إلكترونية على شبكة الأنترنت.**

تمهيد :

تعتبر الكتابات الأثرية من المصادر الرئيسة التي استقى منها الباحثون كل ما دون ويدون عن تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها، فهي التي يعتمد عليها بالدرجة الأولى، لأنها تمثل وجهة نظر صانع الحدث ذاته.

وتكتسب الكتابات والنقوش الإسلامية أهمية كبيرة من حيث أنها ثروة تاريخية وأثرية مفيدة مهما كان موضوعها، فهي تسجل حياة أصحابها وطرق معيشة مجتمعهم، وعلاقاتهم بجيرانهم. وعلى الرغم من عدم خلو هذه الكتابات من المبالغات والادعاءات والتخيلات أحيانا، والسذاجة والغموض أحيانا أخرى، إلا أنها تعتبر المصدر الرئيس لتصوير عادات أصحابها وعقائدهم، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية، وعلاقاتهم الخارجية بالأمم المجاورة لهم.

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

1.1- المفهوم اللغوي :

الكتابة هي صناعة الكاتب من المصدر كتب ولُغَة الكتابة: لُغَة الإنشاء من أدب ونحوه، اللُّغَة التي يستخدمها المثقّفون في كتاباتهم. والكتابة هي ترجمة خطية للكلام وذلك برسم حروفه بأشكال اصطلاحية تعبر عنها وهي ظاهرة إنسانية حضارية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعصور التاريخية لأنه قبل العصور التاريخية لم تكن هناك كتابة.

2.1- المفهوم الاصطلاحي :

الكتابات الأثرية هي كل الكتابات التي كانت تسجل على العمائر سواء الدينية أو المدنية أو العسكرية وعلى المخطوطات والفنون الزخرفية من تحف زجاجية وخزفية وخشبية ومعدنية ومنسوجات وأحجار وشواهد قبور خلال العصور الإسلامية المختلفة، وتعتبر واحدة من أهم فروع دراسة الفنون الإسلامية.

2- أنواع الكتابات الأثرية :

1.2- الكتابات التأسيسية :

يقصد بها تلك اللوحات التي تؤرخ للعمائر المختلفة سواء الدينية أو المدنية أو العسكرية، كما تؤرخ لما طرأ عليها من تجديد أو ترميم أو إضافة، وتعرف هذه الكتابات أيضا بالكتابات التأسيسية أو التسجيلية، وتعتبر من النقوش المهمة حيث تشتمل في العادة على اسم المؤسس وتاريخ الإنشاء وتاريخ الفراغ منه أحيانا، كما تتضمن ماهية البناء والهدف من بناءه، كما قد تتضمن أسماء المعماريين الذين أشرفوا على البناء، ومن ناحية فإن هذه الكتابات كانت تستهل بالبسملة ثم آيات قرآنية أو عبارات دينية.

كتابة تلمسانية

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله/
- أما بعد فقد أمر بإنشاء هذه المنارة/
- الرفيعة والمئذنة الرايقة البديعة عبد/
- الله المجاهد في سبيل الله السيد/
- محمد ابن عثمان باي الايالة الغربية وتلمسان/
- وفاتح ثغر وهران كان الله له حيث كان/
- سنة ١٢٠٧/."

2.2- الكتابات التذكارية :

وهي الكتابات التي تخلد حدثا ما قد يكون عسكريا أو سياسيا أو غير ذلك.والكتابات التذكارية تشتمل عامة على :

أ-استهلال ديني : وهي عبارة عن عبارات دينية (بسم الله، الحمد لله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

ب-تنصيص على الأشغال المنجزة : وهي نصوص تعقب الاستهلال الديني وفيها إشارة إلى العمل أو الأعمال المنجزة سواء كانت جامع أو مدرسة أو حمام أو حوانيت أو مجموعة من المباني.

ج- العبارات التي تختتم بها الكتابة التذكارية وتعقب مباشرة عبارات التنصيص على الأعمال المنجزة.

وقد اتخذت الكتابات التذكارية عدة مواضع ففي المباني الدينية كانت تحلى بها واجهات المباني ورقاب القباب وبواطن العقود وأعلى المحاريب.

3.2- الكتابات الوقفية :

ويقصد بها تلك الكتابات التي تتضمن نصوصا يتم من خلالها وقف بعض المباني كالحوانيت والحمامات على المساجد أو بعض العمائر الدينية، وحفاظا على تلك الأوقاف كان يتم نقشها على واجهات العمائر في الحجر أو الرخام أو الخشب أو الجص. وكان الهدف منها إعلام الناس بمضمون هذه النصوص كي لا تتعرض للتزييف أو التحريف.

وكانت هذه اللوحات تتضمن عادة :

أ-اسم الواقف

ب-تاريخ الوقف

ج-حدود الوقف وموقعه

د-الهدف من الوقف وشروط الواقف

وقفية عمر بن الخطاب

- **بسم الله الرحمن الرحيم.**
- **هذه الضيعة نوبا بحدودها.**
- **وأطرافها وقف على صخرة بيت.**
- **المقدس والمسجد الأقصى أوقفه.**
- **أمير المؤمنين عمر(بن)الخطاب.**
- **لوجه الله تعالا.**

وقفية دار الباي الحاج عثمان

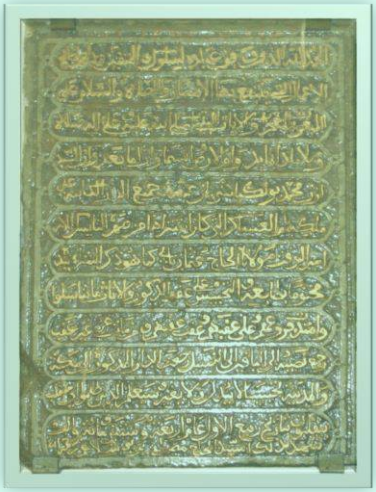

- ١_ الحمد لله الذي وفق عباده لسلوك المتقين ودلهم لصالح
- ٢_ الأعمال التي ينتفع بها الانسان والصلاة والسلام عى
- ١١_ والمدينة تحبيسا لا يبدل ولا يغير وسيعلم اللذين ظلموا أي منقلب
- ١٢_ ينقلبون بتاريخ ربيع الأول عام أربعة وستين ومائة و ألف
- ١٣_ شهد بذلك سيدنا الحاج مصطفى بن بوشلاغم
- الوصف : ٦٤_٤٩_رخام_خط الثلث المغربي_نقش بارز_ ١٧٥٠

4.2- الكتابات الشاهدية :

ونعني بها تلك النقوش المسجلة على شواهد القبور الإسلامية، وهي عبارة عن حجارة توضع على قبر الميت عند الجهة التي تعلو الرأس وأحيانا يوضع حجر آخر في الجهة المقابلة أعلى القدمين، أما الشاهد الرأسي فيضم كتابات نتعرف من خلالها على المتوفى، وأما الشاهد الثاني فيحتوي على زخارف تغطي مجمل المساحة. وعموما فإن مضامين الكتابات الشاهدية تشتمل على :

أ-البسملة

ب-التعريف بشخص المتوفي.

ج-عبارات دينية أو آيات قرآنية أو نصوص نثرية أو أبيات شعرية.

د-تاريخ الوفاة.

هـ- عبارات الترحم على المتوفى.

ومن العناصر المهمة التي قد نجدها على هذه اللوحات اسم الخطّاط أو النقاش الذي عمل الشاهد.

5.2- الكتابات الزخرفية:

تعتبر الكتابات الزخرفية أحد أنواع فن الزخرفة، إذ أنه فن تستخدم من أجل تزيين الأواني والفخار والملابس، بالإضافة إلى تزيين المباني كالمساجد والمدارس، ويطلق عليها أيضاً اسم "الزخرفة الخطية" وذلك لأن الفنان يستعين فيها بالخطوط العربية، وتعتبر الكتابات الزخرفية واحدة من أهم انواع الزخارف الاسلامية، حيث تقوم على رسم وكتابة حروف مزخرفة بشكل مبدع ومتميز، إذ نستعين بها في كتابة آيات القرآن الكريم، وكتابة الأحاديث النبوية الشريفة كما نجدها مكتوبة خاصة على واجهات وجدران المساجد. وأعتمد الفنانون عند كتابة الحروف على عنصر التناسق والرشقة، بالإضافة إلى تزيين الحرف من جوانبه، حيث استخدم فنان الزخرفة على الخصوص نوعان من الخطوط العربية في فن الزخرفة الكتابية، وهم كالآتي:

- **الخط الكوفي** :إذ يتسم باستقامة زوايا الحرف، حيث يستخدم في الكتابة على المباني و كتابة آيات القرآن الكريم، إذ أنه خط بسيط طرأ عليه تغييرات وتطورات من قبل الفنانين، حيث استخدام الفنان فروع النبات في الزخرفة، ومنذ ذلك الحين أطلق عليه "الخط الكوفي المزدهر."
- **الخط النسخي** :ظهر الخط النسخي في القرن السابع الميلادي، إذ استخدمه الفنان في الكتابة على المخطوطات، ثم أنتشر في القرن الثاني عشر، حيث استخدام في زخرفة المساجد والمباني الدينية والأثرية كبديل عن الخط الكوفي.

وكانت الزخرفة الكتابية في البداية منتشرة على آيات القران الكريم تحديداً في الفواصل الموجودة بين آية وأخري، وكان يهتم الفنان بزخرفة سورة البقرة وفاتحة القرآن بشكل خاص.

3- تنفيذ الكتابات الأثرية :

إن أسلوب النقش على الحجارة قديم حيث عرفته الحضارات السابقة، ويعتمد على أدوات بسيطة تتمثل في مطرقة وأزميل وخيط ومسطرة ومقياس وشاقولا وفرجارا ويتم بثلاث طرق هي :

أ- النقش الغائر : حيث تحفر النصوص أو النقوش المراد تنفيذها بمنسوب منخفض غائر عن السطح المحفور بنسب مختلفة ثم يقوم النحات عادة بملء تلك الفراغات بالرصاص أو ملاط أو عجينة ملونة أو أي مادة أخرى

ب- النقش البارز : في هذه الحالة يتم رسم أو كتابة العبارات والنقوش المراد تنفيذها على أسطح مصقولة من رخام أو حجارة أخرى ثم يتم الحفر حواليها حيث تظهر في الأخير بارزة عن سطح الحجارة.

ج- النقش المائل : وهو قليل الاستعمال بحيث تكون أطرافه مائلة مشكلة زوايا منفرجة.

إبريق من النحاس مؤرخ بسنة ١١٤٤هـ_١٧٣٢م،
عمل الصانع حسن بن عبدالنبي النحّاس،

4- أهمية دراسة الكتابات الأثرية :

إن الكتابات الأثرية ذات أهمية قصوى ومن عديد النواحي فهي شواهد مادية شاخصةٌ للناس، لا يمكن تزويرها أو التلاعب بمعلوماتها، إلا في أضيق الحدود والحالات. ويكون الناس شهوداً على صدق تلك المعلومات الموثقة في تلك الشواهد، فضلاً عن التقارب الزمني بين الشاهد والحدث. كما أنها تتمتع بأهمية إضافية تكمن في قدرتها على الصمود والبقاء في وجه الزمن، أكثر من الوثائق التي لا تتوافر لها عوامل البقاء لفترات طويلة.

ومهما يكن من أمر فإن دراسة الكتابات الأثرية تمدنا بمعلومات وثيقة تتعلق بأحوال الدول فى العصور الإسلامية المختلفة من مختلف النواحي التاريخية والأثرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

1.4- من الناحية التاريخية : لقد أفادت الكتابات الأثرية المختلفة والمسجلة على مختلف المواد علماء التاريخ والآثار على حد سواء في الوقوف على نواحي كثيرة تكون قد أهملتها المصادر التاريخية المدونة، حيث تضمنت هذه الكتابات عديد المعلومات والحقائق التي كانت مثار شك واختلاف لدى المؤرخين وعلماء الآثار.

وعموما فهي تتراوح في الأهمية وفقاً لعاملين أساسيين اثنين :

أ- قرب كاتبها من الأحداث زماناً ومكاناً

ب- درجة الصدق والحقيقة التي تتمتع بها المادة الأثرية المقدمة.

ومن جهة أخرى ساعدت هذه الكتابات الأثرية في جمع مادة علمية غزيرة ساعدت الباحثين في تأريخ مختلف المباني المعمارية وما يكون قد صاحبها على مدار تاريخها من أعمال تجديد وصيانة وتوسعة، كما ساهمت في تصحيح أخبار العديد من الحوادث التاريخية التي وردت في المصادر المدونة وما انطوت عليه من أخبار خاطئة تكون قد وقعت عن طريق الزلل أو عمدا. بالإضافة إلى تصحيح بعض الأسماء والأنساب وضبط أخرى.

ولا شك أن الكتابات الأثرية تأتي في مقدمة المصادر المادية اللازمة والضرورية في الدراسات التاريخية والأثرية ومرجعا أصيلا ومحايدا يسد النقص الحاصل في المصادر التاريخية عموما.

2.4- من الناحية الأثرية : إن أسلوب الكتابة أو الخط ذو دور كبير في التعريف بالأثر وتحديد عصره ومركز صناعته، فقد كان يتولى الكتابة في العادة نقاشون يلتزمون قواعد سائدة تمثل اتجاها فنيا معينا في عصرهم أو بلادهم. كما تساعد هذه الكتابات في تتبع الأساليب الصناعية والفنية ولا سيما في عمليتي النحت والحفر والزخرفة.

لقد اعتبرت النقوش الكتابية عامة خزانا حقيقيا لاسيما بالنسبة للصناع والحرفيين الذين كانوا يسجلون أسماءهم على منتجاتهم الفنية وأيضا لأنواع الحرف والصناعات السائدة وطوائفها.

من جهة أخرى ساعدت هذه الكتابات في تأريخ المعالم والمواد الفنية غير المؤرخة وذلك من خلال تتبع أسلوبها الفني والزخرفي ومقارنتها بتلك المؤرخة.

3.4- من الناحية السياسية : لقد أسهمت النقوش الكتابية في التعرف على مختلف الكنى والألقاب التي كان يلقب بها الخلفاء والأمراء والسلاطين، كما وأمكننا الإطلاع على الوظائف التي شغلت من قبل الوزراء وكبار رجال الدولة وغيرهم سواء كانت سياسية أو سيادية أو إدارية أو دينية، إضافة إلى معرفة مختلف الأوامر السلطانية الصادرة من السلطات العليا للدول.

4.4- من الناحية الاقتصادية : كشفت لنا مختلف الكتابات سواء المنفذة على الآثار الثابتة أو المنقولة عن المستوى الاقتصادي لكل دولة ومدى التقدم الذي عرفته تلك الصناعات من خلال المنتجات الفنية الكثيرة. كما ساعدت في التعرف على طبيعة المعاملات المختلفة من بيع وشراء.

5.4- من الناحية الاجتماعية : لقد أمكننا التعرف من خلال ما وصلنا من نقوش كتابية على التمايز الطبقي في المجتمع، فاستعمال المواد المختلفة كالرخام والحجر والخشب في شواهد القبور ساعدت الباحثين في استقراء أحوال المجتمع ومستوياته المعيشية وتركيباته السكانية، كما كشفت النقاب من جهة آخري عن الاتجاهات المذهبية التي سادت في مختلف الدول والعصور.

6.4- من الناحية الفنية : لقد كان لهذه الكتابات دور جد مهم في التعرف على مختلف الخطوط وتطورها عبر الزمن كما تعتبر سجلا حافلا يتضمن مختلف الأساليب الكتابية المستعملة على الأثار والتحف ومدى تطورها الفني عبر مختلف الفترات التاريخية. ومن جهة أخرى ساعدت في التعرف على الصناعات والمراكز الصناعية ومدى تطورها وتأثرها وتأثيرها بغيرها.

7.4- من الناحية الثقافية : لقد أمكننا التعرف من خلال الكتابات الأثرية على الأسماء والمصطلحات الدخيلة على اللغة العربية والتي تكون غالبا معرضة للتحريف والتزييف في المصادر التاريخية، كما أمدتنا بمختلف المعلومات الخاصة بحركة التعريب في مدن المغرب الإسلامي وانتشار الثقافة العربية الإسلامية. كما تعكس الكتابات أيضا من زاوية أخرى سعة اطلاع الخطّاطين والكتّاب.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

- **بورويبة رشيد**، الكتابات الأثرية في المباني الجزائرية، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- **حسن صالح بن إبراهيم** ، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003م.

- **شوحان أحمد** ، رحلة الخط العربي، من المسند ... إلى الحديث، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

- **القحطاني هاني محمد** ، "الكتابة والعمارة"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثامن، السنة الرابعة.

- **خلف عبد الحسن حسن** ، "الكتابة ومكانتها الحضارية عند العرب"، مجلة كلية الأدب، العدد 97.

- **الثامري إحسان ذنون عبد اللطيف** ، "الكتابات الأثرية في مصادر تقي الدين الفاسي"، المجلة الاردنية للتاريخ والآثار، المجلد 7، العدد 1، 2013م.

تمهيد :

اهتم العرب والمسلمون اهتماماً فائقاً بالمخطوطات العربية لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي والإسلامي فجعلوا منها تحفاً فنية ثمينة، وتركوا فيها نتاجاً علمياً ضخماً، وقد سلكوا مسالك شتى في هذه الصناعة فاهتموا بالتأليف والإملاء وجمع مادة الكتاب وتدوينها ومراجعتها وتهذيبها وإضافة ما ينبغي إضافته، وحذف ما لا ينفع، وقد ازداد التأليف وتطور منذ القرن الثاني الهجري وخاصة بعد ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء التي حققت انتشارها في بغداد وأرجاء الدولة الإسلامية، كما ازدهرت حركة الترجمة في العصر العباسي وأسهمت في ازدهار مهنة الوراقة وتوسع نسخ الكتب المترجمة.

1- التعريف اللغوي والاصطلاحي للمخطوطات :

1.1- التعريف اللغوي:

كلمة مخطوط مشتقة من الفعل خط يخط أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية وجمعه مخطوطات.

2.1- التعريف الاصطلاحي :

هناك العديد من التعريفات الخاصة بالمخطوطات مما ورد في بعض الموسوعات والمعاجم اللغوية، فضلاً عن التعريفات الأخرى لدى الباحثين وخبراء المخطوطات. فقد جاء في موسوعة علم المكتبات والمعلومات أن (كلمة مخطوط في الولايات المتحدة الأمريكية أطلقت على جميع المواد التي كتبت باليد على الألواح الطينية والأحجار، ويشمل ذلك مخطوطات العصور الوسطى، وعصر النهضة وكذلك المخطوطات الحديثة كالمخطوطات الأدبية والتاريخية والأوراق الخاصة، وسجلات المؤسسات).

ويرى عبد الله عبد الرحيم عسيلان أن التراث العربي المخطوط هو:(ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات مكتوبة بخط مؤلفها، أو بخط أحد النساخ قبل عصر الطباعة، وفي مقابل ذلك الكتب المطبوعة التي أخرجتها آلات الطباعة في العصر الحديث). ويعرفه البعض بأنه ذلك النوع من الكتب التي نسخت بخط اليد في وقت لم تتوفر فيه الطباعة.

وقد يتسع مدلول هذه الكلمة ليشمل كل ما كتب بخط اليد حتى لو كان رسالة أو عهداً أو نقشاً على الحجر أو رسماً على القماش، وغير ذلك، ويضيق حتى يقتصر على الكتاب المخطوط بخط عربي سواء أكان في شكل لفائف أوفي شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس، وهذا ما هو شائع أو متعارف عليه في أقطار الوطن العربي.

ومهما يكن فالمخطوط هو الكتاب المكتوب باليد لا بالمطبعة، سواء على ورق أو رق أو بردي أو غيره. كما يعرف بأنه النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية أو سمح بكتابتها أو أقرها أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو نسخ أخرى غير الأصل. ولهذا نقول عن كل نسخة منقولة بخط اليد عن أي مخطوطة بأنها مخطوطة مثلها حتى ولو تم النقل أو النسخ بعد عصر النسخة الأصلية، بل وكما نقول عن النسخة المنقولة عن الأصل بأنها مخطوطة كذلك يمكن اعتبار النسخ المصورة عن نسخة أصلية أو منقولة بأنها مخطوطة هي الأخرى.

2- مفهوم علم المخطوطات:

العلم الذي يهتم بدراسة المخطوطات كمحتوى فيعرف بعلم الباليوغرافيا بمعنى علم الكتابة القديمة، وكذلك علم الفيلولوجيا بمعنى فقه اللغة. أما العلم الذي يهتم بدراسة المخطوطات كقطعة مادية فيعرف بالكوديكولوجيا وهو علم نشأ بالغرب واهتم بدراسة المخطوطات لاسيما اليونانية واللاتينية في مظهرها المادي من حيث الشكل والصناعة.

والمصطلح هذا مشتق من كلمتين :

أ- كودكس(codex) : التي تعني مجموعة كراسات في مجلد واحد ولها غلاف.

ب- لوجيا (logia) : التي تعني العلم.

وللمصطلح معنى ضيق ويعرف بعلم آثار الكتب واختصاصه دراسة المخطوطات من النواحي الخارجية كالشكل ونوع الورق ونوع الحبر وطريقة التجليد أيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات وما يسجل في آخر المخطوط من معلومات.

والمعنى الثاني أوسع : يدرس تاريخ المخطوط ومحتواه وأهميته بالنسبة للناس.

3- صناعة المخطوط العربي الإسلامي:

علم صناعة المخطوط، وهو ذلك العلم الذي يُعنى بدراسة مظاهر الصناعة المادية للمخطوط والأدوات المستعملة في ذلك من ورق وحبر وأقلام، وهو مشتمل على فنين اثنين هما :

. الباليوغرافيا. Paleography

. الكوديكولوجياCodicology

ومعنى ذلك أنه علم يهتمّ بكل ما لا علاقة له بالنص بما في ذلك صناعة الأحبار (جمع حِبْر) والرقوق (جمع رَقّ) والكاغد فضلا عن نظام الترقيم والتعقيبات والسَّمَاعات والقراءات والتملكات والإجازات والمقابلات وما يظهر في نهاية المخطوط من اسم الناسخ وتاريخ النسخ...

وهو علم اهتم به الغرب أكثر من العرب، ويذكر أن "فرانسوا ديغوس DEGOS François" هو أول من أدخل هذا العلم في الدراسات العربية، وذلك في ملتقى علمي عُقد بتركيا عام 1986م، وبعده

ازداد الاعتناء بهذا العلم، وعقدت له اللقاءات في مختلف البلدان العربية حتى برّز فيه جلة من العلماء منهم: د.إبراهيم شبوح، ود.عبد الستار الحلوجي , ود. قاسم السامرائي، ود.أحمد شوقي بينبين والعلامة المغربي الكبير الأستاذ محمد المنوني.

ومن المؤلفات التي كتبت في هذا الفن، مما ألفه المغاربة والأندلسيون، ومنها:

- الأبرار في بري القلم وعمل الأحْبار.
- المخترع في فنون من الصُّنَّع، للملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول.
- الأزهار في عمل الأحبار، لمحمد بن ميمون الحميري المراكشي.
- التيسير في صناعة التسفير، لبكر بن إبراهيم الاشبيلي.
- تدبير السفير في صناعة التسفير، لابن أبي حميدة.

وغير ذلك مما يدل على عناية علماء المسلمين –وخصوصاً المغاربة والأندلسيين– بهذه الصناعة وحرصهم عليها.

وتطورت صناعة المخطوط العربي الإسلامي من حيث إخراجها وخطوطها ودقة زخارفها المذهبة وجاذبية صورها، واستخدمت الألوان البديعة في تحليتها، وصنع العرب الألوان من مواد مختلفة منها ما هو مصنوع من مصادر نباتية ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة. ويعد المصحف الشريف من أوائل المخطوطات التي وجهت إليها العناية الفائقة من أجل تجميله وزخرفته وتطوير أساليب رسمه وحفظه. ولم تقتصر المخطوطات الدينية على المصاحف وحدها بل شملت كتب الحديث والسيرة والفقه وغيرها . إلا أن مخطوطات المصاحف تظل أكثر تلك المخطوطات روعة وجمالاً.

كما أبدع العرب في تجليد المخطوطات، ودخل الجلد في صناعة التجليد مع استخدام الزخارف الهندسية والنباتية. وبحلول القرن الرابع الهجري استحدث المجلدون نظام اللسان في الجلدة، كما اهتموا بتبطين الكتب من الداخل بالبردي والرق والورق والقماش والحرير، وتقدم المجلدون في بعض الأقطار الإسلامية في فن صناعة وتجليد الكتاب، وعرفوا طريقة الدق أو الضغط، كما استخدموا التخريم والدهان والتلبيس بالقماش وكانوا أحياناً يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه، ثم يلصقونه على الأرضية الملونة، وهي عملية تحتاج إلى غاية الدقة والمهارة, وعد عمل المجلد من فنون الكتاب الإسلامي ومتمماً لعمل الخطاط والرسام فوقعت على عاتق المجلد مسؤولية حفظ أوراق الكتاب من التلف، والعناية بمظهره الخارجي بحيث يتلاءم مع القيمة العلمية للكتاب ومحتوياته .

أما فيما يتعلق بالترميم ورغم عدم وصول معلومات كافية عن هذا الجانب فإن المقريزي يذكر أن ميزانية مكتبة دار الحكمة في القاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله عام 395هـ كان فيها بند لترميم الكتب التي تتعرض للتلف جراء كثرة الاستعمال . وأغلب الظن أن عملية الترميم لم تكن تخصصاً قائماً بذاته،

لكنها كانت عملية فنية يمارسها المجلدون باستعمال الصمغ والنشاء في لصق ما قد يتمزق من أوراق المخطوط وتقويته .

ويمكن إرجاع هذا التطور في صناعة المخطوط العربي الإسلامي إلى ازدهار حركة التأليف في أواخر القرنين الثاني والثالث الهجريين وتنامي النتاج الفكري للعلماء العرب والمسلمين في القرن الرابع الهجري . وكان لظهور مصانع الورق في بغداد في عصر الرشيد، وتشجيع الحكام والأمراء الأثر الأكبر في ذلك، وظهور طبقة من الوراقين كانت تمارس دورها ومهامها في هذه الصناعة المتمثلة بالنسخ والتصحيح والتجليد والتزويق وبيع الكتب، فكانت مهامها أشبه بما تقوم به دور النشر في وقتنا الحاضر .

4- أدوات الخطاطين:

1.4- القلم : وهو أداة الكتابة والخط استعمل العرب في صناعته جريد النخل الأخضر وتفننوا في دقته وبريه بالشكل والحجم المرغوبين، وعقب ظهور الإسلام استعملوا القصب واتخذوا أقلامهم منه، وبعد أن برعوا في صناعة الورق والحبر اخترعوا قلم الحبر السائل المصنوع من المعدن وقد استعمل هذا القلم لأول مرة في مصر وكتب به المعز لدين الله الفاطمي ثم تفننوا في صناعة الأقلام والمحابر وطوروها ومع ذلك استمر الخطاطون في استعمال الأقلام المصنوعة من القصب لمزاياها الكثيرة، بل ومازالت تستعمل إلى يومنا هذا. وفي المقابل فإن القلم المصنوع من المعدن قد ينزل منه الحبر كثيرا عند بداية الخط بينما ينزل بطيئا بعد ذلك وهذا مما يصعب على الخطاط التحكم الجيد فيه.

* **أنواع الأقلام** : كان العرب في العصرين الأموي والعباسي يكتبون رسائلهم وخطوطهم بأقلام معروفة فقلم الثلثين لكتابة السجلات وقلم ثقيل الطومار وقلم الشامي يكتب بهما ملوك بني أمية أما بنو العباس فكتبوا بالنوعين السابقين ثم كتبوا بمفتح الشامي. وقد بلغ أنواع الأقلام –حسب ابن مقلة– واحدا وعشرين نوعا كل نوع له ما يناسبه.

2.4- الحبر : استعمل الخطاطون الحبر الأسود بينما استعمل أصحاب الرسم والزخارف الأحمر والأزرق والأخضر وغيرها.

وامتاز الخطاطون والوراقون بصناعة أحبارهم بأيديهم، وقليل منهم كان يشتري الحبر من دكاكين الكتبية.

وكان يصنع الحبر من الورد الجوري حيث يوضع في قدر كبير ثم يغلى بالماء الحار حتى ينحل ويقطر منه ماء الورد ثم تؤخذ البقية (الحثالة) ويوضع فيها حديد صدئ فيتفاعل مع التأكسد ويتبدل لون الحثالة إلى اسود، ثم تجفف هذه الحثالة ثم تطحن وتذاب بالماء الحار فتكون حبرا أسود ، يضاف إليها قليل من الصمغ العربي حتى لا يلتصق الحبر بالورقة عند الكتابة، وليكتسب لمعانا، ويضاف إلى الحبر قليل من الملح.

كما كان يصنع الحبر من دخان المدافئ، حيث يؤخذ هذا الدخان الكثيف (السخام) ويطبخ في وعاء ثم يضاف إليه كمية من الصمغ العربي والعفص والملح وبعض الخطاطين كان يضيف ماء قشر الرمان بدلا من العفص ثم يغلى جيدا ويصفى. ويقول الوزير ابن مقلة أن " أجود المداد ما اتخذ من سخام النفط".

ولقد صنع المسلمون الأحبار من المواد الملونة التالية :

- اللون الأزرق: من النيلة أو الصبر
- اللون الأصفر : من الزعفران أو اللميون
- اللون الأحمر : من الشمع المذاب لحشرة البق المرقط" الدعسوقة "
- اللون الزيتوني : من خلط الأزرق بالزعفران
- اللون الأخضر : من مزج الزعفران بالزنجبار (صدأ النحاس أو البرونز)
- اللون البنفسجي : من الأزرق والأحمر.

3.4-أدوات الكتابة:

لقد تنوعت مواد الكتابة عند الأمم، فكتب على النحاس والحجارة كما كتبوا على الأخشاب و ورق الشجر. وكتب الصينيون والرومانيون على الحرير الأبيض والرق. وكتب العرب على الأكتاف، واللخاف، والعسب. وكتب المصريون على أوراق البردي.

مواد الكتابة عند العرب :

- العسب والكرانيف: أكثر المواد شيوعا نظرا لتوفرها في البيئة الصحراوية والعسب: جمع عسيب وهي السعفة أو جريدة النخل حين تجف وينز ع خوصها. والعسب اليمانية كانت أفضل من سواها. أما الكرانيف: فهي جمع كرنافة وهي أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة .
- الأكتاف والأضلاع: ونعني بها عظام أكتاف الإبل والغنم وأضلاعها. وكانوا يكتبون عليها لقلة القراطيس عندهم.
- الخزف: في المدن كانوا يكتبون على قطع الفخار والخزف ويجمعونها مما يتكسر من الآنية.
- الرق والآديم والقضم: وكلها أنواع من الجلود والرق كما يعرفه المبرد في صبح الأعشى (هو ما يرقق من الجلد ليكتب فيه)، والأديم هو الجلد الأحمر، أما القضيم فهو الجلد الأبيض.
- المهارق: صحف بيضاء من القماش، مفردها مهرق وهو كما عرفه ابن منظور في لسان العرب (ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه).
- البردي: هو نبات ينتمي إلى فصيلة النباتات المفصلية وقد أصبح الآن نادر الوجود. وكانت أوراق البردي تستخدم على شكل لفائف.

– القباطي: جمع قبطية وهي ثياب من الكتان كان يصنعها حاكة القبط في مصر وهي شديدة البياض غاية في النقاء.

– الكاغد: لفظ فارسي والكلمة من أصل صيني وتعني الورق. والذي يعتبر المادة الرئيسية للخط، فقد استعمل النساخ أعمالهم المختلفة قبله على رقائق الحجارة والجلود والبردي، وبعد أن نقل العرب صناعة الورق عن الصينيين، ازدهرت الكتابة وانتشرت صناعة الكتاب انتشارا مذهلا، فنقلوا هذه الصناعة من خلال تجارتهم إلى أوروبا وإلى إفريقيا وسائر بلا المشرق.

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الورق الذي اشتهر باسم"الكاغد"هي سمرقند ومنها انتقل إلى بغداد، حيث أمر هارون الرشيد بفتح معمل له في حاضرته وكان ذلك سنة 178هـ، فحل الكاغد محل الرق الذي كان يستعمل في الدواوين والمراسلات، كما انتهى استعمال ورق البردي في بغداد.

وإلى جانب معمل الورق الذي أقيم ببغداد، كانت بلاد الشام سبّاقة إلى صناعة الورق، فقد أنشئت عدة معامل له في دمشق وطرابلس الشام وطبرية. ثم انتقلت صناعته إلى فلسطين ومصر ثم إلى بلاد المغرب. وكان لبغداد في القرن التاسع شهرة بصناعة نوع من الورق الممتاز سمي بالبغدادي امتاز بالليونة والطراوة والثخن ولهذا كتبت به المصاحف واستعمله الخلفاء والوزراء في دواوينهم.

وكان الورق يصنع في بلاد الصين وسمرقند من الحرير والكتان إلا أن المسلمون استعملوا بدلها القطن والألياف والقنب والخرق البالية المصنوعة من مواد مختلفة منها الحرير والكتان.

وللحصول على ورق ملون كان الوراقون يستعملون إحدى الطريقتين :

– الطريقة الأولى : أن تغمس صفائح الورق في أحواض سائلة ملونة باللون المطلوب، عدة مرات حتى تتشرب الصفائح هذه الألوان ثم تجفف وتصقل بمصاقل خاصة.

– الطريقة الثانية : أن تفرك هذه الصفائح بمادة صبغية.

4.4–سكين الخطاط : كان الخطاطون عادة ما يستعملون السكين لبري الأقلام وكان لهذه السكاكين مواصفات خاصة وضعوها لها منها

– أن لا تكون صغيرة ولا كبيرة.

– أن تكون قبضتها تملأ اليد.

– أن تكون متوسطة الحجم.

وللعلم فإنه يوجد العديد من الأدوات التي يستعملها الخطاط ومنها المحبرة أو الدواة وهما معنى واحد وهي الآنية التي يجعل فيها الحبر وهي قوارير من خزف. والمقلمة وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام وقد تكون في نفس الدواة أو منفصلة عنها.

5– الملامح المادية للمخطوط العربي :

هناك مجموعه من الملامح المادية التي يتميز بها المخطوط العربي عن غيره من المخطوطات وهي:

1.5- صفحة العنوان :

تشير أقدم المخطوطات على أن العرب لم يعرفوا صفحة العنوان في أول عهدهم بصناعة الكتب وإن العنوان كان يأتي في المقدمة وفي نهاية المخطوط، ومع هذا فقد كانوا يتركون الصفحة الأولى بيضاء حماية للمخطوط من الأوساخ والأتربة إذا لم يجلد المخطوط وكان بعض الناسخين الذين يقومون بنسخ الكتب عن أصولها يضيفون عنوان الكتاب وأسم مؤلفه في الصفحة الأولى في بعض الأحيان، وكان بعضهم ينسخ الكتب كما هي دون أن يضيف إليها شيئا، وبعد قترة من الزمن يأتي من يضيف العناوين بخط مخالف لخط النسخة ومتأخر عنه كما هو الحال في كثير من المخطوطات القديمة.

2.5- بداية المخطوط :

يبدأ المخطوط عادة بالبسملة تليها مقدمة المؤلف يستهلها بحمد الله والاستعانة به والصلاة والسلام على رسوله ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر اسم كتابه وموضوعه والغرض منه أو الدافع إلى تأليفه والمنهج الذي أتبعه وطريقة ترتيب المادة العلمية فيه على أبواب أو فصول وقد يذكر المصادر التي أعتمد عليها في تأليفه ومعنى ذلك أن تلك المقدمة كانت تؤدي عدة وظائف استقلت عن بعضها فيما بعد وهي (أ): العنوان (ب): الفهرس (ج): التقديم للموضوع والتمهيد له . (د): قائمة المراجع . ولم يكن عنوان المخطوط الذي يأتي في سياق المقدمة يتميز عن النص في أول الأمر بخطه أو يلون مداده لكنه بعد ذلك ميزه النساخ بلون مخالف لمداد الكتابة فاستعملوا له اللون الأحمر في أغلب الأحيان.

3.5- عناوين الفصول والعناوين الجانبية :

لم تكن في أول أمرها تختلف عن بقية النص في نوع الخط ولا في حجمه ولا في لون مداده ولم يكن يميزها عن غيرها سوى أنها تكتب في وسط السطر ثم عمد النساخ بعد ذلك إلى تمييزها وإبرازها بحروف أكبر أو بخط مخالف ثم تلتها مرحلة تمييز العناوين بلون مغاير للون المداد الذي كتب به النص، وكان اللون الأحمر هو الغالب في كتابة العناوين ورؤوس الموضوعات بكثرة ولأسماء السور في المصاحف بقلة نظرا لأن الذهب هو اللون المستحب عادة في كتابة أسماء السور.

4.5- الهوامش :

منذ نشأة المخطوط العربي كان الناسخون يتركون مساحة بيضاء تحيط بالنص، وكانت هذه المساحة تتناسب مع حجم الصفحة نفسها فتتسع كلما كبرت الصفحة وتضيق كلما صغرت، وكان يطلب من النساخ مراعاة أن يكون ما يعزله من البياض في الصفحة عن يمين المتن وشماله وأعلاه وأسفله على نسب معتدلة، وأن تكون رؤوس السطور وأواخرها متساوية وكانت تترك هذه المساحة البيضاء لاستخدامها في كتابة التعليقات والشروح.

5.5- التسطير :

لم يكن ثمة معدل ثابت لعدد السطور في صفحات المخطوطات وليس ما يدل على أنهم كانوا يسطرون الصفحات قبل أن يكتبوا فيها حتى يتحكموا في عدد السطور ويضمنوا عدم اعوجاجها ومع ذلك فنحن نرجح أنهم كانوا يفعلون ذلك في المصاحف ذوات الأحجام الكبيرة ويغفلونه في غيرها من المخطوطات العادية ونرجح ذلك إلى أنه ليس من السهل ضبط الكتابة في المساحات الكبيرة بدون ميل أو اعوجاج من غير تسطير ولأن عدد السطور في المصاحف الأولى لا يتفاوت في صفحات المصحف الواحد كما يتفاوت في المخطوطات الأخرى من صفحه إلى صفحة داخل المخطوط الواحد.

6.5- علامات الترقيم.:

لم يكن النساخون العرب في القرون الأولى للهجرة يستعملون من علامات الترقيم إلا النقطة أو ما يقوم مقامها كأداة للفصل بين الجمل. فكانت الدائرة تقوم مقام النقطة لأنها أكثر استعمالاً وأسبق وجوداً في المخطوطات العربية ففي مصاحف القرون الأولى وجدت الدائرة في أواخر الآيات أما في المخطوطات فكانت الدائرة تستعمل للفصل بين الجمل وفي ختام الفقرات.

7.5- الاختزال في الكتابة (الاختصارات) :

كان النساخ عادة يختزلون صيغ الأخبار والتحديث لتكررها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص فيكتفون بكتابة:

أنا بدل أخبرنا

وثنا أونا بدل حدثنا

وقثنا بدل قال حدثنا

ولم تكن صيغة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تختصر وإنما كان اسمه الشريف يذكر إما مقروناً بالنبوة أو الرسالة وإما متبوعاً بالصلاة والسلام عليه.

8.5- التصويبات والإضافات :

كان الناسخ إذا أخطأ وتنبه للخطأ في حينه ضرب عليه (أي شطبه) وكتب الصواب بعده وإلى جانب هذا كان بعض النساخ يرجعون الكتب بعد الفراغ من نسخها لتصحيح ما عساه أن يكون قد وقع فيها من خطأ أو سهو أو تكرار، وكانت الطريقة المثلى للتصحيح هي الضرب على الخطأ (الشطب) وكتابة الصواب فوقه أو على الهامش.

أما الحك أو القشط فقد كان مكروها ولا سيما في كتب الحديث لأن فيه تهمة وجهالة فيما كان أو كتب.

9.5- نهاية المخطوط :

كانت نهاية المخطوط تميز عادة بعبارة تفيد تمامه أو إتباعه بأجزاء أخرى مثل (تم جزء كذا من كتاب كذا ويليه الجزء كذا وأوله كذا) وبعد ذلك يأتي اسم الناسخ وتاريخ نسخه محدداً باليوم والشهر والسنة.

10.5- أحجام أوراق المخطوطات :

خلال القرون الأولى للهجرة لم يكن يهتم بأن تتساوى أوراق المخطوط في أحجامها وإنما كان الكتاب الواحد يضم أوراقاً مختلفة الأحجام ولعل السبب في ذلك أن الورق لم يكن قد أصبح بعد في متناول عامة الناس، نظراً لقلته وارتفاع أسعاره. ومع هذا فلا نشك في أنهم كانوا يحاولون جاهدين بأن تكون أوراق الكتاب الواحد متقاربة في الحجم إن لم تكن متساوية وفي مخطوطات القرن الرابع الهجري وما تلاه يؤكد هذه المحاولات ويكشف عن مدى التوفيق الذي أصابوه فيها.

11.5- ترقيم الأوراق والصفحات :

لم تكن أوراق المخطوطات في أول عهدها تخضع لأي نوع من الترقيم، ولكي لا يضطرب ترتيبها أو تختلط على القارئ أو المجلد فقد كانوا يكتبون الكلمة الأولى من كل ورقة في ذيل الورقة التي تسبقها تحت آخر كلمة من السطر الأخير فيها وتسمى هذه الطريقة بالتعقيبات.

12.5- التمليكات والسماعات والإجازات والفوائد :

تميز المخطوط العربي بما كان يثبت في أوائل المخطوطات وأواخرها من تمليكات أو سماعات أو إجازات أو غيرها من صور التوثيق، فلقد درج العرب في عصورهم الأولى على أن يسجلوا أسماءهم على ما يملكون من المخطوطات ذاكرين تاريخ التمليك حيناً، ومغفلينه حيناً أخر. وكانت تلك التمليكات تتخذ مكانها عادة في الصفحة الأولى من المخطوط وإن لم يمنع ذلك مدة وجود تمليكات في أواخر بعض المخطوطات.وكان المخطوط لا يقرأ ولا يُسمع ولا يُعارض ولا يجاز للقراءة أو السماع أو النسخ إلا أثبت ذلك بأوله أو آخرة.

6- أنواع الخطوط العربية :

إن الخط العربي فن رفيع قابل للتطور كغيرة من الفنون وهو فن قابل للخلق والتجديد والابتكار والإبداع فلولا الإبداع ما تنوعت الخطوط بين جاف ولين وبين كوفي بدائي وكوفي معماري وبين نسخي وثلث وبم ترى اعيننا خطوط الكوفي بأنواعه والثلث بأنواعه والرقعه والديواني والفارسي والإجازة بأنواعها المختلفة.

والخط العربي له أنواع كثيرة تتفرع من خطين رئسيين هما الخط الجاف والخط اللين. أما في بلاد المغرب فقد شاع خطا سمي بالخط المغربي:

– **الخط المغربي:** مشتق من الخط الكوفي ونجده في نسخ القرآن المكتوبة في الأندلس وشمال إفريقيا، ويمتاز هذا الخط باستدارة حروفه استدارة كبيرة ، وظهرت أولى أساليبه في القيروان كاشتقاق يحمل سمات جمالية خاصة عالية من خط المصاحف الكوفي، عُرف بالخط القيرواني، ثم تطور عنه خط نُسب إلى المهديّة. وتطور في الأندلس نوعان أساسيان، أحدهما تكثر فيه الزوايا سُميّ بالكوفي الأندلسي؛ والآخر تكثر فيه الانحناءات والاستدارات سُمي بالقرطبي أو الأندلسي، استخدم في نسخ المصاحف والكتب وكان لتعليمه تقاليد خاصة في الأندلس والمغرب. وفي المغرب الاسلامي حافظ هذا الخط العربي على بعض سمات الخطوط الأولى. وقد ساد هذا النوع في المغرب العربي كله حتى أواخر حكم الموحدين. ثم ظهر الخط الفاسي ثم السوداني أو التمبكتي (نسبة إلى تمبكتو في مالي)، ويمتاز بكبره وغلظه، والتونسي الذي يعد أكثر الخطوط المغربية مرونة، والجزائري وهو حاد الزوايا. ويستخدم الخطاطون في المغرب الإسلامي أقلامًا تختلف عن أقلام المشارقة من حيث بريها وقطتها التي تميل إلى الاستدارة.

7– أهمية المخطوطات :

يعتبر التراث العربي المخطوط أنفس وأضخم تراث مخطوط على مستوى العالم ورغم أنه ليس معروفا على وجه التحديد حجم هذا التراث إلا أنه يقدر بالملايين ونظرا لنفاسة هذا النتاج الفكري فقد كثرت حوله البحوث والدراسات في مختلف أنحاء العالم

– يعتبر مرآة للحياة التي عاصرته بما يحمله من اشارات تاريخية وحضارية سواء في متنه أو فيما يذيل عليه من توقيعات وخواتم وعبارات وقفية وظروف النسخ وغيرها من الإشارات التي تقتضي تحليلا ودراسة لمادة المخطوط

– إن علم الكوديكولوجيا يعمل على تحليل المخطوط مع التركيز في البحث عن حفرياته التاريخية التي تعتمد شكل الحروف وترتيبها وانتشار السطور والأوراق ودراسة أحجامها وأرقامها وأوضاعها المختلفة في عصور متباعدة.

– يعتبر المخطوط قطعة مادية وشاهدا مهما على العصر الذي انجز فيه

– من خلال معاينتنا لمادية المخطوط نظهر أساليب الصنع المستعملة في زمن معطى وفي مكان محدود النطاق وتعريف هذه الاساليب وشرحها بل وحتى إلى تعليلها

– ان دراسة القيم الفنية المزخرفة ترتبط بتاريخ الفن وتناط بهذا المجال وحده مهمة تحليل مختلف أساليب التصوير

– إن المخطوط يشكل موضوعا أثريا لا يتطابق مع النص الذي يحمله ولكنه يمكن أن يساعد على ضبط مكان أثر معين وتأريخه ودراسة نشأته وإعادة رسم تاريخه وفهمهن ومن هذا المنطلق ؛ يصبح علم

المخطوطات سندا أساسيا في ممارسة النقد الخارجي أو النقد التوثيقين ثم إن هذا العلم يسمح بالتأريخ التقريبي للموضوع المادي نفسه وذلك بفحص مختلف الجزئيات الدالة المرتبطة بمادة الكتابة أو بصناعة النسخة. وتمكن المعلومات التاريخية التي يقدمها علم المخطوطات الباحث من ان يقف على المسالك التي مرت عبرها الوثيقة قبل أن تصل إلينا وذلك عبر التحليل الدقيق للتجليد وللدفف الواقية والتقاييد النصية المتنوعة.

تتجلى اهمية المخطوطات وتظهر مانتها من كونها جزء من التراث العربي الاسلامي الذي قامت عليه الحضارة الاسلامية ودراستها تدفع إلى التعرف على أسباب النهوض وعوامله والتطور والتقدم والإبداع عند العرب المسلمين، ومعرفة الطريق الذي سار عليه الأقدمون في مسيرة بناءهم الحضاري ولقد أصبحت المخطوطات محل اهتمام عدد كبير من المستشرقين

– تحمل المخطوطات تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم.

قائمة المصادر والمراجع:

- **بنبين أحمد شوقي** ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي، الطبعة الثانيةن مراكش، 2004م.
- **بنبين أحمد شوقي ومصطفى طوبي**، معجم مصطلحات المخطوط العرب (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2003م.
- **حسن صالح بن إبراهيم** ، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003م.
- **الحلوجي عبد الستار** ، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الطبعة الثانية، جدة، 1989م.
- **الحلوجي عبد الستار** ، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م.
- **ديروش فرانسوا** ، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005م.
- **السامرائي قاسم** ، علم الإكتناه العربي الاسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الطبعة الاولى، الرياض، 2001م.
- **سيد أيمن فؤاد** ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997م.
- **شوحان أحمد** ، رحلة الخط العربي، من المسند ... إلى الحديث، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- **الطباع إياد خالد**، المخطوط العربي؛ دراسة في أبعاد الزمان والمكان، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م.
- **القصيري إعتماد يوسف** ، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1989م.
- **لومير جاك** ، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2006م.

- **المسفر عبد العزيز بن محمد** ، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض، 1999م.

تمهيد :

في العقود الأخيرة ظهر علم جديد، هو إحياء وتحديث لعلم قديم، وهو فقه البنيان أو فقه العمران، كان موجودا منذ القدم عند الفقهاء المسلمين، ولكن لم يبدأ الاهتمام بدراسته بشكل مكثف وعصري، وربطه بالعلوم المعاصرة، وتطبيقه على الواقع من حيث دراسة الأحياء القديمة وكيفية تخطيطها والمباني الأثرية وكيفية تغيرها مع الزمن، وتدريسه في بعض الجامعات لتطبيقه على تخطيط المشاريع الجديدة، لم يبدأ هذا كله إلا قريبا، فألتف فيه بعض الفقهاء المعاصرين، وبحث فيه المهندسون، وقام بدراسته بعض مختصي الآثار. واستفاد منه المختصون بعلم الاجتماع في بحوثهم، فصار مجالا يتلاقى فيه أصحاب الاختصاصات المختلفة في ساحة واحدة.

وقد ظهر ما يمكن تسميته بفقه البنيان قديما نتيجة لتطور الدول الإسلامية وتوسع المدن، الذي تم بموجبه تحديد وتنظيم العلاقات بين الناس والسيطرة على البناء وحل المشاكل التي قد تنجم بين الناس.

وفقه البنيان (العمران) هو مجموعة القواعد الفقهية التي تراكمت بمرور الزمن نتيجة للمسائل الفقهية المتولدة من حركة العمران في المجتمع، والتي أجاب عنها الفقهاء فكانت تلك القواعد بمثابة المرجع للسلطة والمجتمع والجهات المختصة من مهندسين ومخططين يحتكمون إليها عند اللزوم . من خلال فقه البنيان تم تحديد وتنظيم العلاقات بين الناس ، وضبط عملية العمران وحل المشاكل التي قد تنجم بين الناس .

1- مصادر فقه العمران الإسلامي:

من أهم كتب الفقه التي اهتمت بأحكام البناء كتاب "الإعلان بأحكام البنيان" لابن الرامي المتوفى سنة 734هـ ، وأول من سجل قواعد فقه العمارة من الفقهاء ابن عبد الحكم الفقيه المصري المتوفى سنة 214 هـ/829 م في كتابه « كتاب البنيان » .

وقسم الفقهاء أحكام البناء إلى أربعة أقسام رئيسية هي :

البناء الواجب : مثل بناء المساجد ، والحصون .

البناء المندوب : كبناء المآذن والتي تندب للأذان ، وبناء الأسواق ، حيث يحتاج الناس للسلع ، ولكي لا يتكلفوا عناء البحث عنها، فندب الشرع لذلك بناء الأسواق لكي يستقر بها أصحاب السلع، ويسهل للناس شراؤها منهم .

البناء المباح : مثل بناء المساكن التي تبنى بهدف الاستغلال فمن المعروف أن الشريعة جاءت لحفظ المقاصد الخمس: الدين، النفس، المال، العرض والنسل، والله جعل أسباباً مادية يقوم بها البشر، كي

يحققوا تلك المقاصد، ومن هذه الأسباب بناء المساكن والدور ليحفظ فيها الناس أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وتقوم فيها الأسر.

البناء المحظور: كبناء دور السكر ودور البغاء والبناء على المقابر وفي أرض الغير.

ويمكن استعراض المحاور الرئيسية التي تعرض لها الفقه الإسلامي ، والتي ارتبطت بالتشريعات العمرانية بمفهومها المعاصر، وذلك بهدف محاولة إرساء منهجية جديدة لتحليل وقراءة مورفلوجية المدن الإسلامية من خلال النصوص الشرعية .

1- مسائل قسمة العقارات (معايير تقسيم الأراضي الفضاء)

2- حقوق الجوار والاشتراك (معايير تخطيط المجاورات السكنية)

3- الأراضي والمياه وحقوق المرور وصرف المياه والمسيل (المرافق العامة والبنية التحتية)

4- الحسبة والمراقبة الحضرية (الرقابة التخطيطية)

5- أحكام الأوقاف

6- العقود

7- المنازعات (الدعاوى التخطيطية)

ولكن فقه البنيان ما زال مجالا خصبا يمكن أن يخرج منه الكثير، فمسائل البناء وتنظيم العمران هي بعض مجالات الفقه الإسلامي جاءت أحكامها مبثوثة في كتب الفقه العامة، وأحيانا خصصت لها أبواب وفصول في تلك الكتب، بحيث تكوّن تلك الأبواب كتابا كبيرا لو طبع منفردا. وشغلت تلك المسائل أقساما كبيرة من كتب النوازل والفتاوى، وكثيرا من أقسام كتب علم الشروط والوثائق، وكتب الأقضية والأحكام، كما شغلت حيزا كبيرا من كتب الحسبة العملية. ونجد ثروة من المعلومات في الوثائق الباقية من العصور الماضية، ونضيف إليها سجلات الأحكام الشرعية، وهي وثائق على درجة كبيرة من الأهمية في مجال فقه العمران.

2- المؤلفات المبكرة في فقه العمران:

عرف المسلمون منذ فجر دعوة الإسلام التخطيط والتنظيم في البناء والتعمير، حيث وردت الأحاديث النبوية الشريفة العديدة حول اتساع الطرقات وأحكام تخطيط الأحياء، وأتى بعدها أحكام الخلفاء الراشدين العملية في هذا المجال، فكان أن بنيت الأمصار الأولى مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان على أسس التخطيط، فتم الاعتناء بتنظيم المباني والشوارع والميادين العامة.

ومن ثم أعطى الفقهاء أحكام البناء عناية في مؤلفاتهم الفقهية. فبيّنوا منها أسس تنظيم العمارة، ووضحوا حقوق الارتفاق وهي في الشرع حق مقرر على عقار لمنفعة عقار لشخص آخر، وهذه الحقوق هي: حق الشرب وحق المرور وحق المجرى وحق المسيل وحق التعلّي، وبالتالي لا نستغرب أن وضع بعض الفقهاء رسائل مستقلة في هذا المجال، فأقدم ما وصل إلينا خبره ثلاثة مؤلفات مفقودة في الوقت الحاضر، لعلماء من الجيلين الأولين للمالكية وهم عبد الله بن عبد الحكم (ت191هـ/816م) من مصر، وعيسى بن دينار (ت 212هـ/827م) وعبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/853م)، وهما من الأندلس.

ورد ضمن مؤلّفات ابن عبد الحكم كتاب "القضاء في البنيان" عند من ترجموا له ونقل عنه ابن أبي زيد في كتابه "النوادر والزيادات".

أما عيسى بن دينار فيحمل كتابه عنوان "الجدار" وينقل عنه التطيلي وابن الرامي، وأما ابن حبيب فمن مؤلفاته كتاب "البنيان والأشجار والمياه والأنهار.

1.2- كتاب التطيلي :

عيسى بن موسى التطيلي (ت 386هـ/996م) من علماء تطيلة بالأندلس، وسليل عائلة من الفقهاء، ألّف كتابه "الجدار" معتمدا على كتب المالكية الذين سبقوه، فجاء كتابا نفيسا في موضوعه، اشتمل على واحد وخمسين مبحثا، كلها في البنيان ومتعلقاته، ويعبّر عن كل مبحث بقوله: "القضاء في كذا"، ومن أمثلة ذلك: القضاء في المرفق في المباني ونفي الضرر، القضاء في الدار تكون بين الرجلين، والبئر، فتنهدم ويأبى أحدهما من بنائها، القضاء في الرفوف تخرج على أزقة المسلمين وبنيان السقوف عليها، القضاء في فتح الأبواب والكوى في الدار، والرجل يعلي بنيانه فيمنع جاره الريح والشمس، القضاء في الجدران وقسمتها، القضاء في الأفنية والطرق والتوسع فيها وما يجوز من ذلك وقدر سعة الطريق، القضاء في إحداث أبرجة الحمام والعصافير واتخاذ النحل والإوز.

فنجد في الكتاب مباحث في شئون البنيان اشتراكا وجوارا وارتفاقا، ومستتبعات ذلك من أحكام الاشتراك في الملك وأحكام الجوار وأحكام الارتفاق، ومباحث في شئون البنيان وفي استعمال العقار واستغلاله بالكراء ونحوه، وفي الاختلاف على مرافقه، وفي عيوبه. ويتسع المقصود بالبناء ليشمل كل إنشاء وتعمير. فنجد مباحث حول الجوار في الأراضي والتداعي في تخومها، وفيما يكون فيها من عيون وآبار. ويتحدث المؤلف عن الإجارة وتكاليفها، وعن قسمة العقار بنيانا وأرضا، وما يتبع ذلك من مياه وغيرها، والمنشآت الزراعية مثل الأندر (أي المكان المخصص لدرس الحبوب) والأرحية (الطواحين) والأفران وما تسببه من أضرار وما يسببه الجيران من إضرار بها، وعن حكم المرور إلى أرض محاطة من كل أطرافها بأراضي الغير، وعن أحكام الطريق عامة، والتداعي في شئونها، وعن أحكام التشجير، وما تسببه من أضرار للأفراد أو للمصلحة العامة، والاعتداء عليها أو الاعتداء بإنشائها في ملك الغير. ويتحدث عن الشفعة في المشترك من المرافق، وعن حقوق سكان الأدوار العليا والسفلى، وعن إفساد المواشي والحمام والنحل للزرع.

وقد اعتمد ابن الرامي على كتاب التطيلي كثيرا، ونقل عنه نقولا طويلة، واقتبس من بعض عناوينه.

2.2- كتاب المرجي الثقفي :

هذا الكتاب تناوب في الاشتراك في تأليفه أربعة من أعلام الفقه الحنفي، فأولهم المرجي الثقفي الذي لا نجد له أية ترجمة في كتب التراجم، إلا أننا نستنتج ممن أتى بعده وشرح كتابه أنه من أهل القرن الرابع الهجري، أو الخامس على أبعد تقدير. ثم شرحه الإمام محمد بن علي الدامغاني الكبير من بغداد (ت 478هـ/1085م) شيخ الحنفية في زمانه، ثم أتى بعدهما عمر بن عبد العزيز بن مازة من بخارى (ت536هـ/1141م)، فنجده يصف عمله قائلا: "..وبعد، فإنني وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء من أصعب المسائل مراما، وأعسرها التياما. وكان يتلجلج في صدري أن أجمع ما تفرق في كتب أصحابنا من مسائلها، حتى وجدت جمعا فيها للشيخ المرجي الثقفي بشرح قاضي القضاة الدامغاني أبي عبد الله، لكنه مفتقر إلى التهذيب والتنقيح وذكر التفاصيل، فتممت ما هنالك".

انقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، فجاء تحت كل قسم أبواب، وتحت كل باب فصول، ففي القسم الأول يتحدث المؤلف عن المسائل المتعلقة بالحيطان: من استحقاق، واتصال في البناء، وستر، واشتراك في حائط بين دارين، ونحوها في الجذوع المتصلة والشاخصة، وما يتصل بالحيطان من أحكام في حالة التنازع، والتعلي في البناء، فجاءت هذه المواضيع في أربعة عشر بابا بترتيب المؤلف.

وفي القسم الثاني مسائل مسيل الماء والسقي والزرع وهي في بابين، وفي القسم الثالث نجد مسائل الطرق والأبواب المطلة عليها، وهي أربعة أبواب، فمجموع الأبواب عشرون بابا.

3.2- كتاب الفرسطائي :

ومن جملة ما ألف في مجال فقه العمران؛ كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي الإباضي (ت 504هـ/1110م).

(1)الشراكة والقسمة، قسمة الأموال وقسمة الماء (2)حول الطرق وإصلاحها وإنشاء القناطر عليها (3)إنشاء القصر وأحكامه. والقصر في العمارة البربرية يعني القرية المحاطة بسور وهو يشبه ما يسمى اليوم المجمع السكني أو القرية السكنية المخصصة لأعضائها من السكان (4)القول في ماء المطر وتصريفه وأحكام سقي الأراضي المختلفة به (5) حقوق حراثة الأرض، واشتراك الحرث في أكثر من قطعة أرض، أو في أرض مشاعة (6) نزع المضرات وإثباتها (7) الأشجار والطرق والساقية والعيون والآبار والبحر والمدينة والمغارات. (8)أحكام الغراس (أي زرع النباتات) بين الأراضي المختلفة الملاك (9) أحكام أرض المشاع، أي التي لا يمكن تملكها مثل الأوقاف والمحميات .

يمتاز هذا الكتاب بثرائه بالمعلومات عن العمارة الإسلامية التي عرفتها بيئة المؤلف في زمانه. فتحدث المؤلف عن القصر، الذي هو نمط خاص للعمارة البربرية الصحراوية، حيث ما زالت هذه الكلمة تطلق على كثير من القرى المنتشرة في المنطقة، ويتحدث المؤلف عن الشارع والزقاق والسكة، مميزا بينها. ويذكر الغرف والبيوت والفنادق والمسجد والقنطرة والجسر والزروب، فيحدد مراده من كل ذلك، ثم يبيّن ما يتعلق بها من حقوق وأحكام، معتمدا في ذلك على القواعد الفقهية المعتمدة عند جمهور علماء الشريعة الإسلامية.

4.2- كتاب ابن الرامي :

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن إبراهيم اللخمي الملقب بابن الرامي (ت حوالي 750هـ/1350م). وهو معلم بناء، وخبير بالأمور الفنية والمصطلحات اللازمة للكتابة والبحث في هذا المجال. وكان يعمل طوال عقود من الزمن مستشارا فنيا لقضاة بلده تونس، مما سمح له بالإطلاع على القضايا المتعلقة بالبناء مما عرض على المحاكم في عصره، وقد جمع إلى هذه الخبرة اطلاعا واسعا على كتب الفقه المالكي، وقدرة على الترجيح بين الأقوال الفقهية واستنباط الحكم الصحيح من بينها.

يمتاز هذا الكتاب بعدة مزايا تجعله في مقدمة كتب فقه البنيان التراثية بلا منازع، من هذه المزايا: (1) كثرة المصادر التي اعتمدها وتنوعها (2) قدرته على جمع أطراف هذا الموضوع الواسع من مواطنه المتفرقة وترتيب موضوعاته والتنسيق بين النقول الواردة فيه (3) تلخيص المسائل وحسن عرضها وترتيبها عند تقديمها (4) ربطه الأحكام بالقواعد وبالوقائع معا، فيقوم بربط الأحكام بأدلتها المنقولة وقواعدها العامة الفقهية، ثم يسرد وقائع تطبيقية حصلت من تجاربه مع الحالات التي أشرف عليها. (5) قدرته على الاستنباط والمناقشة والترجيح، وكان رأيه هو الأرجح. (6)حديثه المفصل عن صفة العقد في الجدران، وعن مرافق الحائط، وعن عيوب الدور، وعن لوازم السقف، وعن كيفية هندسة المواجل (أي خزانات تجميع المياه)، وعن علامات الأرض التي يخرج منها الماء المالح والماء الحلو.

اشتمل الكتاب على مائة واثنين وخمسين (152) مبحثا، تناولت جوانب شتى وقضايا كثيرة، وترتبط كل مجموعة من هذه المباحث بموضوع واحد، وهذه هي مواضيع الكتاب:

1- أحكام الجدار: وفيه تقسيم الجدار إلى أنواع من ناحية من هم مالكوه.

2- نفي الضرر: ومنه ضرر إحداث دخان أو رائحة أو إيذاء الجار بأنواع أخرى من الإيذاء، والإضرار بالطرقات، بتضييقها وإرسال الفضلات إليها.

3- العيوب في الدور وأنواعها.

4- أحكام الساكن السفلي والساكن العلوي في بناية واحدة.

5- أحكام القنوات والمجاري.

6- تخوم الأرض وحكم تغييرها.

7- الآبار: ومن مواضيعها حريم الآبار والاشتراك في البئر وحفر الآبار وأجورها.

8- القسمة: أي قسمة الدار والبناء والساحة.

9- الأندر أي أماكن درس الحبوب واستخراجها من سنابلها بفصل التبن عنها، فيبحث أضرار الأندر على الجيران وما يمكن أن يسببه الجيران من أضرار على الأندر.

10- الغصب: ومن مسائله من يبني في أرض غيره بإذنه أو بغير إذنه.

11- الغروس: أي أحكام أضرار النباتات بالجيران.

12- أحكام الأنهار والسقي: ومنها أحكام مصائد الأسماك.

13- أحكام الأرحية، أي الطواحين التي تدار بالماء.

14- أحكام الشفعة: أي حق الجار في تملك العقار على مشتريه، بالشروط التي حددها الفقهاء.

15- أضرار الحيوانات الداجنة كالمواشي والطيور والنحل.

والكتاب مليء بالمصطلحات المعمارية، الأمر الذي يجعله ثروة فقهية ولغوية ومعمارية وأثرية.

5.2- كتاب أبي حامد المقدسي :

هو أبو حامد المقدسي الشافعي الذي ألّف رسالة بعنوان "الفوائد النفيسة الباهرة، في بيان حكم شوارع القاهرة، في مذاهب الأئمة الزاهرة". فهو يقدم في رسالته نبذة عن أوضاع شوارع القاهرة عند إنشائها، ثم أثر التعديات عليها وتضييقها. ثم يجمع آراء علماء المذاهب الأربعة وأقوالهم التي تتفق على استحسان ما قام به الأمير يشبك الداودار عام 882هـ/1477م حيث أمر بإزالة كل ما بني زيادة على المباني الأصلية. وأمر بتزيين المساجد وواجهاتها وأبوابها، وجلي رخامها، وتبييض حيطانها، وحيطان المباني الأخرى المطلة على الشوارع الرئيسية. وبنى عدة مباني خيرية في أماكن أخرى لنفع عامة المحتاجين. (قام أصحاب المباني في مدينة القاهرة الفاطمية بتوسعتها على حساب تضييق الشوارع ، فبنيت الربوع والرواشن والسقائف والسوابط والمصاطب والحوانيت وغيرها بشكل غير شرعي، إلى أن أظلمت الشوارع الواسعة وضاقت. وظلت التعديات تتزايد عبر القرون باطراد، إلى أن وصل الأمر بالشارع الأعظم (شارع المعز حاليا) أن صار مزدحما بشكل مزعج، بعد أن كان فسيحا يسر المرء أن يتمشى فيه).

والكتاب إسهام جيد في بيان أصول العمارة في الإسلام من حيث السعة والعرض وأماكن إقامة المرافق العامة كالمساجد والأسواق والميادين.

وفي الكتاب آراء متطورة حتى بمقاييس عصرنا، فهو يذكر أن الفقهاء يمنعون ليس فقط إبراز البناء على الشارع، وإنما منعوا أيضا استعمال الأرصفة وساحات المساجد لعرض البضائع وبيعها، كما يفعل الباعة المتجولون.

6.2- كتاب كامي أفندي :

هذا الكتاب يأتي في آخر حلقات التأليف في هذا المجال. فمؤلفه القاضي كامي محمد أفندي بن أحمد الأدرنوي (من مدينة أدرنة التركية، ت 1136هـ/1723م) جمع فيه آراء الفقهاء الأحناف من عدة كتب يذكر عناوينها باختصار بعد كل فقرة من فقرات الكتاب العديدة، وهو كتاب كبير الحجم نسبيا، وهذه هي أقسامه:

- القسمة، أي توزيع ما يمكن تقسيمه من العقار على الورثة أو غيرهم من الأشخاص حسب استحقاقهم.

- في تحديد العقار والحساب والمساحة.

- الجوار والاشتراك، وكيفية معالجة إضرار الجار بجاره.

- المسيل والمرور: ومنه التعدي على الشارع.

- الحسبة والضمان والتقصير: حول أحكام المحتسب وضمان الصناع من بنائين ونجارين وغيرهم والمسؤولية في حالة إخماد حريق.

- أحكام الأوقاف.

- مسائل المنازعات.

- الأراضي والأشجار والمياه.

- عقود البيع والهبة والمزارعة والمساقاة.

- فيما يتعلق بالكنائس وأهل الذمة والقسامة.

يمتاز الكتاب بتوسعه واقتباسه من مصادر عديدة باستخدام أشكال توضيحية بلغ عددها 12 شكلا، معظمها عبارة عن مخططات تقريبية للوحدات السكنية والطرق التي يتحدث عن حق المرور فيها. وفي أحد هذه الأشكال نجد رسم آلة الكونيا المستخدمة كميزان لمعرفة استقامة الجدار عموديا كما في الكتاب أمور حسابية وهندسية: فمن ذلك تعريف وحدات الذراع والمساحة، ومنها تعريف الأشكال الهندسية، ومنها كذلك وصف كيفية وزن الأرض (أي إيجاد انخفاض قطعة من الأرض وارتفاع أخرى) لإسالة الماء على

سطحها في الكتاب مباحث تتعلق بعدم تلويث مياه الأنهار والآبار بمياه البالوعات كما يتضمن الأحكام القانونية المتعلقة بإطفاء الحرائق.

3- عناية الفقه والقضاء الإسلامي بأحكام العمران والبنيان :

أولى الفقه والقضاء الإسلامي عمران البيئة وأحكام البنيان عناية كبيرة من أجل تحقيق الأمر الإلهي بعمارة الأرض عمارة صالحة فاضلة، دون إفساد في الأرض أو اعتداء على حقوق الآخرين، وتحقيقاً لمصالح العباد بتوافر البيئة المبنية التي تكفل لهم المعيشة والحياة الهانئة في المجتمعات والمستوطنات الإسلامية في كل زمان ومكان.

واعتمد فقهاء المسلمين في تناولهم لأحكام العمران والبنيان في المدينة الإسلامية على آية وردت في القرآن الكريم وعلى حديث نبوي شريف ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، أما الآية فهي قوله سبحانه وتعالى: **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الأعراف: 91، وأما الحديث النبوي الشريف فهو "**لا ضرر ولا ضرار**" واحتلت قاعدة لا ضرر ولا ضرار باباً واسعاً في فقه العمارة الإسلامية ، كما اعتمد الفقهاء والقضاة أيضاً على ثلاثة مصادر من الشريعة : القياس والعرف والاستصحاب.

ويصنف الفقهاء من أتباع الإمام مالك الضرر إلى صنفين : ضرر قائم وضرر مستجد، أما الضرر القائم فينقسم إلى أضرار ناتجة من أنشطة استقرت في المنطقة قبل غيرها من الإشغالات ويجمع الفقهاء على إبقائها لأحقيتها على غيرها بما أنها <ضرر دخل عليه>، وأضرار أخرى ناتجة من أنشطة بدأت بعد استقرار الجيرة المحيطة بها ومضى عليها وقت طويل قبل أن يشكو منها ساكنو المنطقة، ويحكم هذه الحال قاعدتان: القاعدة الأولى هي وقف الأنشطة في حال الإتلاف والضرر الشديد مثل دخان نار الحمامات وغبار الطواحين ورائحة الدباغة، أما القاعدة الثانية فتقضي بالإبقاء على النشاط إن كان ضرره ضئيلاً وممكن التكيف معه مثل دخان المخابز أو مطابخ البيوت.

وقد حدد الفقهاء مسببات الضرر في ثلاثة أنواع هي : الدخان والرائحة الكريهة والأصوات المزعجة، وكان لذلك أثره المباشر في دفع نوعيات المنشآت الصناعية التي تتسبب في هذا الضرر إلى أطراف المدينة الإسلامية.

فلقد شهدت مدينة القاهرة على سبيل المثال الكثير من أعمال العمران التي هدفت إلى الحفاظ على البيئة العمرانية من التلوث الناتج من المنشآت الصناعية ونفذت أغلب هذه المشروعات في القرن 11 الهجري الموافق للقرن 17 ميلادي ، وأهم هذه المشروعات مشروع نقل المدابغ من المنطقة التي كانت تقع جنوب باب زويلة خارج القاهرة، حيث عُمِّر مكانها مسجد وعمائر أخرى، بينما أنشئت مدابغ جديدة خارج مدينة القاهرة، وهذا المكان في ذلك الوقت كان يبعد عن الكتلة العمرانية للمدينة ولا يسبب أي أضرار للبيئة ولا للمحيط العمراني للمدابغ الجديدة، على العكس من الموقع القديم الذي أصبح يقع في

وسط الكتلة العمرانية للقاهرة بينما حينما أنشئت القاهرة في العصر الفاطمي كانت تقع المدابغ المذكورة خارج المدينة· وفي حال اتفاق سكان حارة ما على بناء فرن يعيشون من أرباحه مما يسبب ضرراً بالدخان أو غيره، فالقاضي والمحتسب يتركان هؤلاء وشغلهم ماداموا متفقين وموقنين بالضرر الذي سيسببه الدخان لأنه بالنسبة إليهم ضرر الدخان أقل من ضرر الاحتياج إلى مصارف المعاش فهم يفضلون أقل الضررين، فتدخل القاضي لا يكون إلا بعد أن تقدم له شكاية من أحد السكان يعاني من ضرر الدخان في هذه الحال ولا يستجيب له القاضي بغلق الفرن إلا إذا كان هذا الأخير حديث الإنشاء، وهذا هو الاعتماد على مصدر الشريعة المسمَّى <بالاستصحاب >أي بقاء الحال على ما هو عليه ما لم يرد فيه حكم·

أما الضرر الناتج من الأصوات والذبذبات فينقسم إلى قسمين: النوع الأول وهو الذبذبات التي قد تؤثر على سلامة المباني وتعتبر خطراً يجب درؤه، فيروي <ابن الرامي >في كتابه <الإعلان بأحكام البنيان > أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضر به وأقلق راحته، فتحرى <ابن الرامي >الأمر ووجد الحائط يتذبذب جراء فتح الباب وغلقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها.

وأما النوع الآخر من الضرر فينتج من الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر، وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مغاير فاعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب درؤه، فقد وضع قضاة طليطلة حسب رواية <ابن الرامي >قواعد صارمة لمنع وجود <الكمادين >لما يسببونه من ضرر وضيق للجيران بما يصدر عنهم من أصوات، كما أعرب القاضي <ابن الرافع >في تونس عن تفضيله منع بناء الإسطبلات والحظائر المتاخمة للمباني لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة في أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم.

وقد أولت التشريعات والقوانين عناية كبيرة اهتماماً بحماية البيئة ونظافة المدن الإسلامية، ويظهر ذلك في وجود شروط ومواصفات بنائية معينة يجب توافرها ببعض الحوانيت، فيشترط في حانوت القصاب <الجزار >أن يتسع لوجود مذبح حتى لا يضر بالطريق وبالعامة، كما أن المحتسب كان يمنعهم من الذبح على أبواب دكاكينهم حتى لا يلوثوا الطريق بالدم والروث ، كما اشترط في حانوت الخباز ارتفاع السقف والتهوية اللازمة لإخراج الدخان·

ونظراً لأنه جرت العادة على استغلال أسطح المنازل في معظم البلاد الإسلامية في الأغراض المعيشية وخصوصاً في فصل الصيف الذي جرت العادة على أن يتحول السطح ليلاً إلى مكان للنوم هرباً من ارتفاع درجة الحرارة، وكمكان للنسوة اللواتي كن يستخدمنه للاستمتاع بالهواء الطلق والشمس

نهاراً والتحدث إلى النساء الأخريات في البيوت المجاورة، ومع هذا الاستغلال المكثف للأسطح نتيجة للظروف المناخية وعوامل تحقيق الخصوصية تضمنت الأحكام الفقهية ما يوجه المطالع المؤدية إلى السطح وأبوابه وسترته بحيث لا يكشف الصاعد إلى السطح أو من يكون فوقه البيوت المجاورة أو أن تكشف البيوت المجاورة هذا السطح، وفي قياس محدد يذكر ابن الرامي أن سبعة أشبار ارتفاع مناسب للسترة <الدورة >يكفي لأن يمنع الشخص من الرؤية إذا لم يكن محباً لفضول الاستطلاع.

والجدير ذكره هنا أن نتعرض باختصار للآراء الفقهية التي دارت بين بعض الفقهاء حول زراعة صحون المساجد التي توضح إلى أي مدى وصلت عناية الفقه الإسلامي بالاهتمام بأدق التفاصيل المتعلقة بتنسيق المواقع وتصميم المساجد، فمذهب الإمام الأوزاعي هو أول المذاهب الإسلامية التي أجازت زرع صحون المساجد ، وفي إطار هذا التصريح كان زرع صحون بعض المساجد بالشام ثم بالأندلس.

لقد تعدى اهتمام الفقهاء والقضاة المسلمين الجوانب المادية أو التنظيمية للعمران الإسلامي إلى الجوانب الأخلاقية والدينية أيضاً، فمن المهام التي كانت تندرج تحت مسؤوليات المحتسب إزالة وهدم مباني الفساد بالمدن الإسلامية، وهو يدخل تحت باب إزالة المنكر، ومن تطبيقات ذلك ما فعله <علي أغا >في مصر، فقد أزال خمارات مصر القديمة، وكان السيوطي أحد فقهاء مصر المعروفين في العصر المملوكي قد استفتي في هدم هذا النوع من المنشآت فأفتى بهدمها لإزالة المنكر.

4- بعض القواعد الفقهية المنظمة للعمران:

إن مدن العصور الإسلامية لم تبن على غير ميزان ولا قانون وإنما كنت خاضعة لمنظومة فقهية تجيب عن إشكالاتها ونوازلها كلما تطلب الأمر ذلك، وهذه المنظومة تدور أحكامها على قواعد فقهية مقاصدية عامة كانت محل تنزيل من قبل فقهاء العمران قديما ويمكن إجمالها في أربع قواعد:

- ❖ دفع المضار و جلب المصالح
- ❖ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند التعارض
- ❖ ارتكاب أخف الضررين
- ❖ تحكيم العرف.

5- أهمية دراسة مصادر فقه العمران :

إن المدن الإسلامية كانت خاضعة في كلياتها وجزئياتها لأحكام فقهية سواء منها المنصوص عليه أو الاجتهادية منها والتي كانت في تجدد مستمر حسب التطور المجتمعي. وعليه فإنه يمكن الاستفادة من التراث الفقهي لفك ألغاز المدن العتيقة وذلك عن طريق البحث في الثروة الفقهية في مجال العمران وإعادة ترميم المدن الإسلامية وفق صورتها الأولى والحفاظ على أشكالها الأصلية. كما يمكن البحث في إمكانية

استثمار ذلك التراث الفقهي في تأسيس الإرشاد السياحي على أساس علمي يعرف بالتراث العمراني بناء على تفسيرات علمية مستقاة من المنظومة القانونية والثقافية التي أنتجت هذا العمران.

والأمر الذي لا يختلف فيه الباحثون هو أن نشر مؤلفات فقه العمران ضروري من أجل تاريخ العمارة والهندسة، ولاكتساب ثروة من المصطلحات، وللاستعانة به من أجل تحديث قوانين العمران المعاصرة التي اقتبس كثير منها من بيئات مختلفة عن بيئتنا، ومن أجل إثراء الدراسات المختلفة ولاسيما الأثرية .

إن الأسس والمعايير التصميمية للعمران والبنيان في المجتمعات الإسلامية المعاصرة في حاجة لمثل هذه الأحكام والضوابط الشرعية التي لا تزال صالحة لعمارة الأرض لليوم كما كانت صالحة بالأمس.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي المعروف بابن رامي البنّاء**، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة: فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.
- **بن حموش مصطفى أحمد** ، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، دار التراث للدراسات الاسلامية واحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، 2000م.
-**خالد عزب**، فقه العمارة الاسلامية، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة الأولى، 1997م.
-**خالد عزب**، فقه العمران؛ العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الاسلامية، الدار المصرية اللبنانية، 2013م.
- **القحطاني هاني بن محمد**، "فقه العمران الاسلامي؛ إشكالات المحتوى والبنية والخطاب"، مجلة لونارد، المجلد الأول، العدد الثاني، السنة الأولى، مارس، 2011م.

أولا : مصادر التاريخ الاسلامي:

زخرت الحركة الفكرية في العصور الاسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتبا في مختلف فروع الكتابة التاريخية وقد كان المسلمون أكثر اهتماما وإنتاجا في التدوين التاريخي حيث الف في هذا الموضوع المؤرخ شمس الدين السخاوي كتابا حول عناوين مؤلفات العرب والمسلمين في التاريخ حتى عصره سماه :" الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، ومما قال فيه إن :" كتب التواريخ أكثر من أن تحصى".

والواقع أن الكتابة التاريخية شهدت تطورا تدريجيا عقب الحقب التي مرت بها وهذا التطور جاء نتيجة لهذا الاهتمام فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى فمنها :

1 – التاريخ العام :

صنف المؤرخون المسلمون كتبا تميز أغلبها بالضخامة أطلق عليها بعض الباحثين مصطلح "كتب التاريخ العام" لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التي يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة، وهي في الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التي وقعت قبل البعثة النبوية ترتيبا موضوعيا أو حسب تعاقب الأحداث، أما الفترة الاسلامية فقد اعتمد في تنظيمها حسب تعاقب السنين وتعرف عند البعض الباحثين بالحوليات، وعموما فقد اشتملت تلك المؤلفات على الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وغرائب الأحداث وحتى الجوانب المعمارية والعمرانية.

ويعد "تاريخ الرسل والملوك" لمحمد ابن جرير الطبري (ت 310هـ) أول أضخم كتاب يصل إلينا عن المؤرخين المسلمين في التاريخ العام، غير أن هناك الكثير ممن سبقوه في اتباع هذا المنهج. ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي (ت 579هـ) وابن الأثير (ت 630هـ).

2–كتب التراجم :

ويقصد بها السيرة المختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر، وهي تجمع في كتاب واحد قد يقع في عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحا "تراجم" والتي تعد من مصادر التاريخ الاسلامي ذات الأهمية البالغة عند الباحثين ذلك أنها تميزت بالدقة والثقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والعمرانية، ومن أشهر كتب التراجم: – تاريخ واسط لأسلم بن سهل (ت 298هـ)

– تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463 هـ)

- تاريخ دمشق لابن عساكر (571هـ).

وتحوي هذه الكتب معلومات مهمة عن المدينة نفسها، فتاريخ بغداد مثلا يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات حول خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها.

3-تاريخ الدول:

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتبا قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التي عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب "التاجي في تاريخ الدولة البويهية" لأبي اسحاق الصابي(ت 384هـ) ثم توالت الكتب الأخرى في القرون التالية مثلا كتاب " الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية " لابن الأثير الجزري(ت 630هـ).

تقدم هذه الكتب مادة تفصيلية عن أخبار الدول التي أرخت لها ورجالاتها وهي أوسع مادة من كتب التاريخ العام وكتب التراجم.

4- التاريخ العسكري:

من أهم كتب التاريخ العسكري التي وصلتنا كتاب "فتوح الشام" للواقدي (ت 209هـ) وقد دون أيضا أخبار فتوح العراق والجزيرة ومصر.

كما أن هناك كتبا عديدة ظهرت في الجهاد مثل كتاب "الأجناد في آلات الجهاد" لابن جماعة الحموي (ت 733هـ) وهو من الكتب القلائل التي وصلتنا في هذا الباب، وقد ظهر هذا النوع من الكتب بشكل واضح إبان الجهاد ضد الصليبيين في مصر والشام، ومع ذلك فإن الكثير من المعلومات العسكرية وأخبار المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم جاءت في سياق كتب التاريخ العام وكتب التراجم.

5- التاريخ الإقتصادي :

هناك العديد من المصادر ألفت أو بحثت في التاريخ الاقتصادي فمنها كتاب "الخراج وصنعة الكتابة" لقدامة بن جعفر (ت 329هـ) الذي تناول فيه فضلا عن ديوان الخراج؛ دواوين ذات صلة مثل النفقات وبيت المال وغيرهما وذكر ضرب النقود وأوزانها.

وهناك كتاب فريد في بابه خصصه مؤلفه لتدوين تاريخ النقود وهو كتاب "شذور العقود في ذكر النقود" لتقي الدين المقريزي (ت 845هـ).

كما يوجد هناك مؤلفات مهمة تعرضت إلى جوانب اقتصادية من التاريخ مثل كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري (ت 279هـ) الذي تطرق فيه إلى ذكر النقود وكتاب "قوانين الدواوين" لابن مماتي الذي تطرق فيه إلى دار ضرب النقود وهناك كتاب "حياة الحيوان الكبرى " لكمال الدين الدميري (ت 808هـ) الذي تطرق فيه إلى النزاع بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية وهو نزاع ذو طابع اقتصادي حول تعريب النقود.

بعض المؤرخين المسلمين :

- **الطبري (ت 310هـ)** : هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير وقيل خالد ابن غالب، ولد عام 224هـ وقيل عام 225هـ بآمل بطرستان وقد سمي بالطبري نسبة إلى المدينة التي نشأ بها كما كني بالبغدادي بسبب استقراره في بغداد حتى وفاته.

نشأ الطبري في أسرة ذات ورع وتقوى وعلم، حيث حثه والده وهو صبي على طلب العلم والتفرغ له فحفظ القرآن الكريم وعمره سبع سنين وصلى بالناس وهو ابن ثمانية وكتب الحديث وهو في التاسعة.

زار الكثير من الحواضر العلمية كبغداد والبصرة وواسط والكوفة، كما انتقل إلى مصر معرجا على دمشق وبيروت، ليستقر في الأخير ببغداد حيث انقطع للقراءة والتأليف والتدريس.

ويلاحظ أن معظم شيوخ الطبري هم من المحدثين والفقهاء والقراء واللغويين والنحويين الذين أثروا شخصيته العلمية فأصبح أحد أعلام عصره، وقد أخذ العلم عن أبرز علماء العراق ومصر والشام وحرص على الاطلاع على مختلف المذاهب الفقهية في عصره، إلا أن الملاحظ على شيوخه ندرة المختصين من الاخباريين أو المؤرخين وفي المقابل كثرة علماء الدين، واعتبر الطبري من أكثر العلماء ورعا وزهدا وأمانة، رفض الوقوف على أبواب الخلفاء والأمراء والوزراء طلبا للمال كما رفض تقبل المناصب والهدايا.

ناصبه الحنابلة بالعداء والخصومة واتهموه بالتشيع، توفى الطبري في شوال عام 310هـ ودفن في بغداد وشيعه ناس كثيرون.

يعتبر الطبري من أبرز أئمة التفسير والفقه والتاريخ حيث صنف 46 كتابا في شتى أنواع المعرفة مثل التفسير والحديث والقراءات والفقه والتاريخ، وقد قيل أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة.

ويعتبر كتابه "تاريخ الرسل والملوك" قمة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند العرب في فترة التكوين وقد اعتبره ابن خلكان (ت 681هـ) أصح التواريخ وأثبتها.

أملى الطبري تاريخه عام 290هـ وانتهى من تأليفه عام 303هـ وكان عدد صفحاته نحو ثلاثة آلاف صفحة.

يتألف تاريخ الرسل والملوك من قسمين الأول ما قبل الاسلام منذ الخليقة ولغاية البعثة والثاني خاص بالإسلام والمسلمين فتناول السيرة وتاريخ الخلفاء حتى عام 302هـ بما فيهم خلفاء بني أمية وبني العباس.

- **ابن كثير** :

هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير؛ عماد الدين أبو الفدا البصروي، ولد بقرية تدعى مجدل ببصرى جنوب دمشق، وذلك عام 701هـ، كان أبوه خطيبا ببلدة مجدل إلى أن توفى سنة 703هـ، ولما بلغ ابن كثير السابعة من عمره ارتحل بصحبة أخيه الشقيق عبد الوهاب إلى مدينة دمشق أين استقر بها.

وهبه الله تعالى ذاكرة قوية وموهبة كبيرة فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن 11 سنة كما حفظ العديد من الكتب والمتون، وقرأ القرآن وبرع في التفسير، ولي العديد من المدارس العلمية كالمدرسة الصالحية والمدرسة النورية وغيرهما.

له عدة مؤلفات منها تفسير القرآن العظيم وكتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل وميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيرها كثير، إلا أن من أهم كتبه البداية والنهاية في التاريخ، وهو كتاب في التاريخ عامة والتاريخ الاسلامي خاصة، اشتمل على تاريخ ما قبل الاسلام من بدء الخليقة ثم يذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة حتى وصل إلى السيرة النبوية مع التوسع فيها، وتابع المسيرة من تاريخ المسلمين في العهد الراشدي فالأموي فالعباسي وما زامنه من العهد الفاطمي والأيوبي ثم المملوكي.

توفى بدمشق يوم 26 شعبان سنة 774هـ عن سن 74 عام وكانت جنازته حافلة ومشهودة بوصية منه في تربة الشيخ ابن تيمية بمقبرة الصوفية لمحبته له وتأثره به.

- ابن خلدون :

هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر محمد ابن الحسن، ولد بتونس في الفاتح من رمضان عام 732هـ، ذو أصل أندلسي، تنقل في مختلف بلدان المغرب كما تنقل إلى مصر وعاش فيها ما يقارب ربع قرن.

حفظ القرآن الكريم وهو لا يزال طفلا، تتلمذ في صباه على يد والده ثم التحق بجامع الزيتونة الذي أتم فيه دراسته، رحل بعلمه إلى بسكرة حيث تزوج هناك ثم توجه عام 757هـ إلى فاس اين قربة السلطان أبو عنان إلى مجلسه العلمي، في العام 764هـ رحل إلى غرناطة ومنها إلى إشبيلية ليعود بعد ذلك إلى المغرب الأوسط وبقلعة ابن سلامة بتيهرت شرع في كتابة مقدمته ومكث فيها ما يقارب الأربعة أعوام وأتم كتابة مؤلفه بتونس، سافر إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج وفي عودته استقر بالقاهرة أين قضى بقية حياته وبها تولى القضاء المالكي بوصفه فقيها متميزا.

يعتبر ابن خلدون واحد من أبرز العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية فهو مؤسس علم الاجتماع وقد سبقت آراءه ونظرياته ما توصل إليه لاحقا بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالفرنسي أوغست لوكونت.

لابن خلدون العديد من المصنفات في مجال التاريخ والحساب والمنطق، غير أن أهمها هو كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وهو يقع في سبع مجلدات وأولها المقدمة وفيها يتحدث ابن خلدون عن الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطبائعهم.

توفي ابن خلدون في مصر سنة 808هـ ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة.

- ابن عساكر :

هو أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي المشهور بان عساكر ولد سنة 449هـ وتوفى سنة 571هـ ذكر له بعض المؤلفين 49 كتابا في مختلف العلوم والمعارف منها في الحديث والفضائل والتاريخ وأهمها "تاريخ مدينة دمشق" وهو كتاب ضخم جدا طبع بـ 70 جزء رتبت تراجمه حسب الحروف.

- ابن الجوزي :

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي الحنبلي ولد سنة 500هـ وتوفى سنة 597هـ، وهو صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والطب ومن بين أهم كتبه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" رتب فيه مادته على حسب تعاقب السنين، ويعد ابن الجوزي مصدرا مهما لتاريخ العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص خلال القرن 6هـ، وتكتسب كتاباته أهمية كبيرة لاعتباره مؤرخا ثقة نظرا لتربيته وثقافته الاسلامية العالية.

- ابن الأثير:

هو أبو الحسن عز الدين علي ابن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري الموصلي الشافعي ولد سنة 555هـ وتوفى سنة 630هـ، يعد من أشهر المؤرخين المسلمون بعد الطبري، ألف في التاريخ العام كتاب "الكامل في التاريخ" كما كتب في تاريخ الدول "لباهر في تاريخ الدولة الاتباكية، وتعد كتابته في جانب منها مصدرا أوليا عن تاريخ الحروب الصليبية وحروب نور الدين وعماد الدين أمراء الأتابكة ضد الصليبيين وبداية الغزو المغولي وعن نهايات سلاجقة العراق.

ثانيا – الرحلة والرحّالة:

1- الرحلة لغة :

لقد ربط العرب في لغتهم بين الدواب التي يرحلون عليها وبين مفهوم الرحلة بصورة عامة فأخذوا كلمة الرحلة من هذا المعنى حيث قال ابن منظور في لسان العرب: " ناقة رحيلة أي شديدة قوية على السير، وجمل رحيل إذا كان قويا على أن يرحل، وارتحل البعير رحلة؛ سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا ورحل عن المكان- يرحل، وهو راحل، والرحلة اسم للارتحال والسير، يقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى انتقل، وراحلت فلانا إذا عاونته على رحلته، وارحلته إذا أعطيته راحلة".

فالرحلة إذا جاء مفهومها من ارتحال البعير لأنه واسطة النقل، والرحل أيضا مركب بعير وما على ظهره من الأوعية وفي الآية الكريمة :" **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه**" سورة يوسف الآية 70.

2- الرحلة اصطلاحا :

هي الإنتقال من بلد إلى آخر يصف من خلالها الرحالة في كتاب ما رأى وربما ما سمع، وأدب الرحلات هو مجموع الآثار الادبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة وقد يتعرض لوصف ما رآه من عمران وآثار وعادات وغيرها.

أما التاليف عن الرحلة فقد بدأ عند المسلمين الأوائل منذ القرن الثالث الهجري إلا أنهم لم يدونوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادرا، أما معظمهم فقد أدمج حديث وأخبار تلك الرحلات فيما ألفوه من كتب التاريخ أو تقويم البلدان (الجغرافيا)، على أن التأليف للرحلة بمعناه الصحيح فيمكن القول بأنه بدأ في القرن الخامس الهجري.

3- دوافع وأهداف الرحلة عند المسلمين :

يمكن أن نذكر أن من أهم الأسباب والدوافع التي مهدت الطريق للرحالة ارتياد الآفاق والعالم ما يلي :

- إتساع رقعة البلاد الاسلامية التي امتدت من الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا، فقد عني المسلمون عناية خاصة بعد الفتوح بالمنطاق التي خضعت لهم واصبحت جزء من دولتهم فدونوا لها الدواوين وعبدوا لها الطرق ونظموا لها البريد.

- الرغبة في وصف الاقاليم والعناية بها والتي اعتبرت جزء من أخبار الفتوح والمغازي كما كانت أنحاء الدولة الاسلامية المتسعة الأرجاء تتطلب الدراسة والوصف تمهيدا لتطبيق الشريعة وتسهيل مهمة الولاة، كما كان لوصف المدن والمناطق أهمية كبيرة اقتصاديا، فقد ساعدت الدولة الاسلامية في تحديد ثروات تلك البلاد ومعرفة قدرتها على دفع الخراج والزكاة.

- جمع الحديث من أفواه الرجال حيث تروي لنا كتب الحديث وكتب طبقات المحدثين أخبار كثيرة عن المحدثين الذين قاموا برحلات شاقة في سبيل جمع الأحاديث المحفوظة في صدور الرواة المتفرقين في أنحاء العالم الاسلامي ليدونوها لأول مرة.

- كانت الرحلة تعتبر من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الاسلامي، حيث كانت الكتب نادرة وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات اليوم، إضافة إلى ذلك فقد تعددت المراكز الاسلامية في بلاد الاسلام، فكان طلاب العلم يتنقلون من مصر إلى آخر يدرسون على مشاهير العلماء ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم.

– سعي بعض الرحالة من خلال رحلتهم وراء الاسترزاق والنفع المادي من خلال التجارة التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الاسلامية.

– الحج إلى بيت الله الحرام الذي يعتبر أهم بواعث الرحلة على الإطلاق وأعظمها شأنا لدي المسلمين.

– إذا كان الحج وزيارة البقاع المقدسة وطلب العلم والتجارة هي من أهم البواعث التي دفعت المسلمين إلى الرحلة فإن هناك أسباب أخرى ومنها مرافقة الكتاب للأمراء ورجال الدولة في أسفار رسمية يكلف أحدهم بعد ذلك بتدوينها، إضافة إلى توجيه المبعوثين والسفراء من قبل الحكام والملوك للبلاد الشرقية والغربية، وفي الاخير نشير إلى وجود عامل آخر دفع غير المسلمين إليها في العصر الحديث ألا وهي الكشوف الجغرافية ثم الاستعمار.

4– أنواع الرحلات عند المسلمين :

يمكننا أن نقسم الرحلات بالاستناد إلى اعتبارات مختلفة، كأن نرتبها وفق العصور التاريخية ترتيبا زمنيا من أول رحلة إلى آخر رحلة، أو نرتبها حسب النواحي التي قصدها الرحالة وكتبوا عنها، كما يمكن تقسيمها وفق الطرق التي سلكها الرحالة إما برا أو بحرا، كما قد نقسمها حسب هدف الرحلة وموضوعها مثل : الرحلات الحجازية، الرحلات السفارية، الرحلات الرسمية، الرحلات السياحية،الرحلات العامة والتي تأخذ من كل هذه الأنواع كرحلة ابن بطوطة.

5– أهمية الرحلة :

كان للرحلات أهمية بالغة تتمثل في القيمة الأدبية لها من خلال ما رواه الرحالة في مؤلفاتهم، مما جعلها نموذجا أدبيا تتجلى فيه القدرة على الوصف الدقيق والتعبير النقي الصادق القائم على أسلوب جميل يعكس لنا قوة البلاغة في العصر الذي كتبت فيه.

كما تكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة الاسلامية فتحت آفاق المعرفة واستقصت العادات البشرية ودونت فنون المجالس العلمية ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الأقطار الاسلامية.

هذا بالإضافة إلى قيمتها العلمية التي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعرفة التي تمت إلى علم الجغرافيا وعلم التاريخ وعلم الآثار بأوثق الصلات، ففي الرحلات وأدبها صور وافية ومعلومات دقيقة عن الأحوال الإجتماعية والاقتصادية والعمرانية والسياسية للمسلمين ومن جاورهم من شعوب إفريقيا وآسيا وشطر من أوروبا كذكر المعالم المعمارية والاثرية والعلاقات الإجتماعية والإقتصادية ووصف البلدان والممالك والأقطار والمسالك والطرق وغير ذلك مما لايزال يعتبر إلى الآن مرجعا أساسيا في دراسة جغرافية وأثار هذه المناطق وتاريخها.

6– إهتمام المغاربة بالرحلات:

لقد ظهر تفوق المغاربة جليا في هذا الفن ووضعوا فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها وأكثرها لا يزال مخطوطا، ومنها ما تعتبر مفقودة ولا تعرف إلا بالنقل عنها في كتب التاريخ والأدب والتراجم.

إن اهتمام المغاربة بالرحلة والتأليف فيها تتجاوز اهتمام أهل المشرق بكثير، وظل هذا الاتجاه مزدهرا بين ظهرانيهم حتى في عصور الضعف والانحطاط، ولعل الذي ساعد على تنمية هذا الاهتمام ورعى هذه الرغبة في الرحلة عند المغاربة هو الموقع الجغرافي لبلاد المغرب ببعده عن الشرق والحجاز من جهة، وإطلاله على القارة الاوروبية من جهة ثانية، واتصاله بوسط إفريقيا من جهة ثالثة، ولهذا انتظمت رحلات المغاربة نحو الأقطار المختلفة إسلامية وغير اسلامية، وإن كنا قد وجدنا أن بلاد الحجاز تستقطب أكثر المغاربة فقد ذكر ابن خلدون في المقدمة بأن رحلة المغاربة كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار علم، وكان جل من يقصد البلاد الحجازية من العلماء والأدباء لأداء فريضة الحج يقوم بالتعريف بتلك البلاد وما احتوت عليه من آثار الصحابة والتابعين والعلماء وغيرهم، مع وصف الطريق التي تؤدي إليها برا وبحرا، وينتهز الرحالة هذا السفر الطويل ليتوقف بحواضر العلم فيصفها ويذكر معالمها وآثارها ويعرف بعلمائها ويتطرق لعاداتهم وتقاليدها.

كما يمكن أن نذكر أن من أسباب التفوق هو ولوع المغاربة بالسياحة وارتياد الآفاق، ولهذا وجدنا الكثير منهم يواصلون رحلاتهم إلى مختلف البلدان بعد آدائهم لفريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة.

ثالثا – علم الجغرافيا

1- التعريف اللغوي والإصطلاحي لعلم الجغرافيا :

تعرف الجغرافيا بأنها العلم الذي يصف سطح الارض، ويقوم بدراسة تنوع الحياة البشرية والحيوانية والنباتية والظواهر البشرية والطبيعية وكل ما ينتج من آثار النشاط الانساني في مختلف بقاع الارض.

ويعود أصل كلمة الجغرافيا إلى الإغريقية حيث ترجمت إلى العربية على أنها وصف الارض ولفظ الجغرافيا يتألف من شقين؛ أولهما (GEO) والذي يعني الأرض وثانيهما (GRAPHICA) حيث تعني هذه الكلمة الصورة أو الوصف.

وتقسم الجغرافيا حاليا إلى قسمين رئيسيين :

أ- الجغرافيا الطبيعية : والتي تعنى بدراسة التضاريس والمناخ إضافة إلى الحيوانات والنباتات التي تعيش على الأرض.

ب- الجغرافيا البشرية : والتي تعنى بدراسة الإنسان وعلاقته ببيئته ومن أنواعها الجغرافيا الإقتصادية والسياسية والإجتماعية.

وكلمة الجغرافيا كمصطلح لم يستعملها المسلمون إلا نادرا وفي وقت متأخر، وقد استعملوا في حالات خاصة كلمة "جغرافيا" كعنوان لمؤلفاتهم مثل محمد الزهري الاندلسي (القرن السادس الهجري) وقصد بها خارطة البلدان والطرق، ولعل إخوان الصفا هم أول من استعمل كلمة الجغرافيا للدلالة على علم خاص وذلك في رسائلهم المشهورة. وفي المقابل استعمل المسلمون مصطلحات كثيرة للدلالة على علم الجغرافيا ومنها علم الأطوال والعروض وعلم تقويم البلدان وعلم المسالك والممالك وعلم عجائب البلدان.

2- نشأة علم الجغرافيا عند المسلمين وعوامل ازدهاره:

كان المسلمون الأوائل يعيشون في بيئة صحراوية ارتبطوا بها ولمسوا تغيرات الجو عرفوا تطوراته وكانت تضاريس الصحراء وبها من جبال وتلال وهضاب وسهول ووديان ومنابع المياه، كان ذلك دافعا لهم للاهتمام بعلم الجغرافيا وبراعتهم فيه إلى جانب الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي لها ارتباط وثيق بالموضوعات الجغرافيا، قال الله تعالى :" وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيئ إنه خبير بما تفعلون" النحل 88.

ومما لا شك فيه أن المسلمين استفادوا من معارف الأمم السابقة وأضافوا إليها معلومات كثيرةن فقد برعوا في مجال الجغرافيا الوصفية وهي ما عرف بعلم المسالك والممالك، ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على ظهور وتقدم علم الجغرافيا عند المسلمين ما يلي :

أ- العامل الديني : ويتمثل في حث القرآن الكريم المسلمين على التأمل في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وحركة النجوم والكواكب وتغير أوجه اقمر وغيرها، يقول الله تعالى : "أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كان أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض" المؤمنون 82.

كما تؤيد ذلك الأحاديث النبوية الشريفة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا".

ب- الفتوحات الاسلامية واتساع أراضي الخلافة : وقد شجعت هذه الظروف طلاب العلم وعشاق الأسفار على الرحلات الجغرافية وتدوين مشاهداتهم، لذلك كانت الفتوحات الاسلامية من العوامل الهامة التي ساعدت في فترة مبكرة الجغرافيين المسلمين على اكتشاف العلوم الجغرافية وتطورها ونشرها.

ونظيف إلى العاملين السابقين عوامل أخرى لا تقل أهمية وهي عامل الحج وطلب العلم والتجارة وحب الإكتشاف وهي ذات العوامل التي ساهمت في ظهور وتطور أدب الرحلات عند المسلمين.

3- جهود الجغرافيين المسلمين في تطوير علم الجغرافيا :

كانت تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية إلى جانب الإعتماد على تراث السلف والحساب الرياضي والرصد الفلكي، وقد استطاع الجغرافيون المسلمون من خلال انتاجهم العلمي الغزير أن يساهموا في زيادة المعرفة الجغرافية، فقد وصلوا إلى مختلف بقاع العالم القديم كالصين والهند وأواسط آسيا حيث الجمهوريات الاسلامية وبلاد السودان وأواسط إفريقيا بل ومناطق عديدة في جنوبها، كما تمكنوا من الوصول إلى الاراضي الروسية والبولندية ووصلوا شمالا إلى الدول الاسكندنافية. وعليه فقد أضاف الرحالة العرب إلى خريطة العالم المعروف آنذاك جهات لم تكن معروفة من قبل مثل أواسط وشمال آسيا، كما وصفوا بلاد الترك والروس والصقالبة، إضافة إلى بقاع مختلفة من غرب وشرق إفريقيا ورسموا لها الخرائط.

4- مصنفات المسلمين في علم الجغرافيا :

من جملة ما ألفه المسلمون في علم الجغرافيا نذكر كتب البلدان والمسالك والممالك، ولعل أقدم مثال وصل إلينا في كتب البلدان هو كتاب البلدان لليعقوبي (توفى 292هـ) ثم توالت المؤلفات في المسالك والممالك والخطط مثل كتب المسالك والممالك للمقدسي (توفى 381هـ) وابن خرداذبة (توفى 300هـ). هذا الصنف الاخير من المؤلفات يزودنا بمعلومات قيمة لاسيما وأن معظم من صنفوا في هذا العلم اعتمدوا فيما دونوه على مشاهداتهم الشخصية للبلدان التي زاروها وتجولوا في مناطقها فوصفوها عن قرب، حيث وردت في مؤلفاتهم معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فضلا عن المعلومات الجغرافية، إذ وصفوا طبوغرافية المناطق وأراضيها الزراعية ومنتجاتها وتجاراتها ومصادر المياه فيها.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافيا التي تتبع أسماء البلدان أساسا في تنظيم المادة المكتوبة مع ترتيب أسماءها من مدن وقرى وغيرها حسب حروف المعجم، وخير مثال على ذلك معجم البلدان لياقوت الحموي (توفى 626هـ) وكتاب مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي (توفى 739هـ) فهذه المؤلفات تزودنا بالموقع الجغرافي وأهميته للإقليم ويعطي المعلومات الطبوغرافية والمناخية إضافة إلى الاحداث المختلفة سواء السابقة لعصر المؤلف أو المعاصرة له والشخصيا المشهورة في كل بلد.

وهناك صنف آخر من كتب الجغرافيا تعرفنا بمواقع الجوامع والمدارس وغيرها من المنشآت المعمارية وهي كتب الخطط وهي تعنى بذكر النسيج العمراني للمدن كالشوارع والدروب والدور والاسواق والجوامع والمدارس والزوايا والربط وغيرها وهي في الغالب ترتب حسب الأحرف الهيجائية وخير مثال على هذا الصنف كتاب :"الانتصار لواسطة عقد الأمصار" لابن دقماق (توفى 845هـ) وكتب الخطط المقريزية لتقي الدين المقريزي (845هـ).

5- مناهج الدراسات الجغرافية عند المسلمين :

عرفت الدراسات الجغرافية عند المسلمين عدة مناهج منها المنهج الادبي الذي اعتمد على الاسلوب الادبي متأثرا بروائع الشعر العربي أو المقالات النثرية، والمنهج الرياضي المتاثر بالرياضيات، ولهذا المنهج كتب معروفة مثل كتاب البيروني (توفى 362هـ) وكتاب القانون للمسعودي (توفى 440هـ) وغيرهما.

إلا أن أهم المناهج هو المنهج الوصفي الإقليمي الذي أصله المسلمون وأبدعوا فيه ووضعوا له الاطر العلمية، ومما ساهم في تطور هذا المنهج نذكر على سبيل المثال:

- الاتساع في كمن المعلومات عن بقاع الارض
- تعدد المدارس الإسلامية في اسلوب الكتابة الإقليمية (المدرسة البطلموسية والمدرسة البلخية).
- وجود فائدة علمية وعملية للمعلومات المدونة وفق هذا المنهج مما جعل أكثر الخلفاء والملوك يدعمونه، على غرار الشريف الإدريسي (توفى 493هـ) وتأليفه لكتاب عن تقويم البلدان لغليوم الأول ملك النورماند بصقيلة عنونه بـ"روضة الأنس ونزهة النفس".

وقد قام الجغرافيون الوصفيون بوصف المدن بدقة مركزين بذلك على تاريخها وآثارها وأجوائها وتجاراتها وصناعاتها وغيرها.

6- أهم منجزات المسلمين في ميدان الجغرافيا:

- حركة الترجمة والنقل التي تعهدها الخلفاء والوزراء في الغالب والتي كانت سببا رئيسيا في حفظ التراث القديم من الضياع وتصحيح المفاهيم الخاطئة وتقدم العلوم وتطورها.
- كثرة التآليف الجغرافية ووضع الخرائط، ولعل أهم هذه الخرائط خريطة العالم الإدريسي الذي أنجزها عام 548هـ.
- إثبات كروية الارض، ونذكر بهذا الخصوص المجسم الذي صنعه الإدريسي من الفضة بناء على طلب من ملك صقلية روجار، وهو يعد من وأهم المجسمات الكروية للأرض.
- قياس وتعيين خطوط الطول والعرض لكثير من المدن وكانت هذه القياسات قريبة من الصواب، حيث قدرت نسبة خطوط العرض ببضع دقائق فقط بينما قدرت نسبة الخطأ في خطوط الطول بدرجتين.
- قياس قطر ومحيط الأرض (البيروني) وهي لا تختلف عن القياسات الحالية إلا قيلا.
- استخدام البوصلة في الملاحة وتطويرها.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **أبو مصطفى كمال السيد** ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، 1997م.
- **الابيض أنيس** ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جروس برس، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، 1994م.
- **أحمد رمضان أحمد**، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، ب.ت.
- **إبن خلدون عبد الرحمن**، المقدمة، تحقيق : أحمد جاد، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، القاهرة، 2007م.
- **الماوردي أبو الحسن**، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.
- **البدوي عبد الرحمن** ، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995م.
- **بنعبد الله عبد العزيز** ، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، الرباط، 2001م.
- **حسن زكي محمد** ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.
- **حميدة عبد الرحمن** ، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، 1995م.
- **فهيم حسين محمد** ، أدب الرحلات، عالم المعرفة، العدد 138، الكويت، يونيو 1989م.
- **غرايبة خليف مصطفى** ، "الرحلات الجغرافية في التراث العربي الاسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين"، مجلة حوليات التراث، العدد 11، 2011م.

1- مفهوم الحضارة :

إن دلالة الحضارة عرفت عبر التاريخ التطور والتغير واختلف معناها من مدرسة إلى مدرسة فكرية أخرى، وقد عرف معناها تطورا بنائيا عبر العصور التاريخية ونقتصر ذكر بعض التعاريف وهي كما يلي:

- **التعريف اللغوي:** إن كلمة الحضارة تعني التمدن، وهي ضد البداوة فهي نقيض لها أو العكس، والإقامة في الحضر " أخص من ذلك " الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر، ووردت لفظة الحضارة في المعجم الوسيط بمعنى الإقامة في الحضر قال القطامي: "ومن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا والحضارة هي ممثلة لكل مظاهر التطور والرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والأخلاقي ... في الحضر" وقد ورد لفظ الحضارة في دائرة معارف القرن العشرين أنه لفظ مخالف للفظ البداوة وتعني – الإقامة في الحضر وهي لفظة مرادفة للفظة مدنية، والمدينة كلمة مشتقة من مدن المدائن أي بمعنى مصرها وبناها ونحتوا من هذه اللفظة فعل التمدن وجعلوا معناها يرتبط بتخلق أخلاق أهل المدينة والخروج من حالة البداوة والدخول في حالة الحضارة. وأصبحت لكلمة المدينة مدلولا أعم وأشمل من مدلولها اللغوي فإنها بلغت غاية التدرج في الرقي والتطور الناتجين عن مفعول تأثير الفنون والعلوم والمعارف ، والصنائع وقد نجد هذا المدلول للحضارة الذي ارتبط بالمدينة ذكرا في المعجم الفرنسي ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا يقول جميل صليبا : " ومع أن استعمال هذا اللفظ قديم ، فإن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون ، ففرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري ، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود ، فالبداوة أصل الحضارة ، والبدو أقدم من الحضر ، وإذا كانت البداوة أصل الحضارة فإن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران " أما عند الأوربيين فإن لفظة الحضارة تقابل كلمة التوحش أو الهمجية وقد نجد لدى أحد المفكرين الأوربيين وهو لبتري تعريف لمفهوم الحضارة فيقول : " الحضارة هي مجموع الآراء والعادات والتقاليد ، التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدين والفنون الجميلة والعلوم" وتذكر الموسوعة الفرنسية الكبرى" أن الحضارة هي ما في الحياة الاجتماعية المنظمة من مجموع العناصر التي وفرت للإنسانية تفوقها على بقية الكائنات الحيوانية وسيطرتها على الأرض " " وما تاريخ الحضارة إلا تاريخ الحياة الباطنية للإنسانية في تطورها المادي والفكري ، في مقابلة التاريخ السياسي القديم الذي يعطي للأفراد الاعتبار الأول " وقد ظهر هذا المفهوم الجديد مع فلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن والتاسع عشر على أيدي كثير من الفلاسفة والعلماء والأدباء منهم على سبيل المثال مونتسيكو، وفولتير، وجيبون وهرد ر وكليم ، وبوكل ،

وفي تاج العروس: "الحضارة والحضرة هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار، والتي يكون لهم بها قرار.

لقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعاً لذلك دلالات الحضارة بتنوع تعريفاتها، فقد رأى بعض الباحثين أن الحضارة هي مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما إلى ذلك، والترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية "وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط.

وقد عرفها مجموعة من الألمان هم (راتناو – توماس مان – كسيرلنج) بأنها "المظاهر الفكرية التي تسود أيّ مجتمع ."وهذا يعني أن الحضارة مرادفة للثقافة ومقتصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط. وفي كلا الحالتين نلاحظ أن الحضارة قد قُصرت على جانب واحد فقط، فلم يتم الإحاطة بكلا الجانبين المعنوي والمادي، وهذا يدعونا إلى اختيار تعريف آخر للحضارة يشمل كلا هذين الجانبين،**وعليه تكون الحضارة هي:**

الجهد الذي يقدمه مجتمع من المجتمعات لخدمة المجتمع البشري في جميع نواحي حياته المعنوية والمادية وبناءً على ما سبق نستطيع القول أن الحضارة تتضمن جانباً معنوياً يتمثل في الثقافة التي تعني بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة، وجانباً مادياً يتمثل في المدنية التي تعني بالجانب المادي البحت للحضارة، وهي على نوعان مدنية خاصة تتميز بطابع ثقافي خاص، مثل لباس المرأة، ومدنية عامة لا تتميز بطابع ثقافي خاص، مثل الآلات.

2- تعريف الحضارة الإسلامية:

تعرف الحضارة الإسلامية بأنها: ما قدمه المجتمع الإسلامي للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، في الجوانب الروحية والأخلاقية، فضلاً عما قدمه من منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التطبيقية والتنظيمية.

3- المراحل الكبرى للحضارة العربية الإسلامية:

يذكر الأستاذ ناجي معروف في كتابه "أصالة الحضارة" أن مراحل الحضارة العربية هي:

- مرحلة النشوء والتكامل في الجزيرة العربية.

- مرحلة الاقتباس من الأمم بعد الفتوح الإسلامية.

– مرحلة الابتكار والإبداع.

– مرحلة التأثير في الشرق والغرب.

ونستطيع، على أساس نظرة أخرى، أن نتبين مراحل للحضارة الإسلامية، إذا صرفنا النظر عن النظر عن حضارة ما قبل الإسلام، سواء حضارة الأمم الجنوبية أو حضارة القبائل المستقره في قرى الوسط والشمال أو حضارة أهل البادية.

يمكن أن نتبين المراحل التالية:

–مرحلة تكوين الإنسان المؤمن المجاهد، تكوينا دينيا شاملا لحياة التدين ولحياة الدنيا، وهذا تم في عهد النبي عليه السلام، وهو أساس كل تحضر إسلامي، لأن حامله هو الإنسان، ولا حضارة بدون إنسان متحضر في فكره وحياته.

– مرحلة تبليغ أساسيات الحضارة الإسلامية للأمم، وهي مرحلة الفتوحات الكبرى التي بلغ بها العرب رسالة الإسلام للأمم وأسسوا دولة الإسلام ودار حضارته. وكانت عناصر حضارته هي أصول الإسلام واللغة العربية الرائعة التي وجهها الإسلام نحو أهداف أوسع وأعلى من أهدافها. وهذه هي مرحلة العصر الأموي.

–مرحلة اللقاء الحضاري بين الإسلام وبين حضارات الأمم، وهنا بدأ تتلمذ العرب على غيرهم، وسرعان ما تفهموا روح الحضارات الأخرى وعناصرها، وبدءوا، وهم ومن اشتملت عليه دولتهم، في بناء حضارة، روحها وجوهرها الإسلام ورداؤها كل مظاهر التحضر الإنساني، وهذا تحقق في العصر العباسي حتى أواسط القرن الرابع للهجرة – وكانت مرحلة إبداع أساسي احتفظت فيه الحضارة بروح الإسلام كاملة وبكثير من مثله العليا.

–مرحلة الإبداع مع التنوع، وهي تمتد حتى أوائل القرن الثامن الهجري، وإن كان قد عاقتها غزوات المغول وما أعقبها، وفي هذه المرحلة كان تأثير حضارة الإسلام في الحضارة الأوروبية.

– مرحلة الحضارة عند مختلف شعوب الإسلام في فارس والهند ومصر وفي الدولة العثمانية.

– مرحلة الركود والتخلف في عصر الاستعمار.

4- مجالات الحضارة الإسلامية :

بإحصاء صور التقدم والرقي عند الإنسان المسلم يمكننا أن نرجعها إلى المجالات الثلاثة التالية:

المجال الأول- ما يخدم الجسد:

هو ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية والنعيم، ومعطيات اللذة للحس أو النفس.

ويدخل في هذا المجال أنواع التقدم العمراني، والزراعي، والصناعي، والصحي، والأدبي، والفني، والإنتاج الحيواني، والاستفادة من كنوز الأرض والطاقات المنبثة فيها، وما أشبه ذلك

فالسبيل الطبيعي للمجال المادي لصور التقدم والرقي عند الإنسان هو استخدام العقل في البحث العلمي ، والاختبار والتجربة، والممارسة التطبيقية العملية ، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص ، وما يستدعيه الكمال.

المجال الثاني- ما يخدم المجتمع الإنساني:

هو ما يخدم المجتمع الإنساني، ويكون من الوسائل والأسباب التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار الخير والفضائل الجماعية. ويدخل في هذا أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمادية، والشامل للأخلاق والتقاليد، والعادات الفاضلات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضاً في علاقاتهم المختلفة. وكل أنواع العلوم والثقافات التي تخدم هذا المجال ، وسبل تحقيق ما يخدم المجتمع الإنساني تتمثل في سبيلين هما:

1. التلقي التعليمي عن طريق الوحي، وذلك في كل ما تكلفت به الشرائع الربانية ببيانه، ولا يعدل عن ذلك إلا متنكب.

2. استخدام العقل في البحث العلمي والتجربة والاختبار، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص وما يستدعيه الكمال .

المجال الثالث- ما يخدم الروح:

هو ما يخدم الجانب الروحي ويأخذ بيد الإنسان إلى تحقيق السعادة الحقيقية في الحياة الدنيوية والبرزخية والأخروية ويدخل في هذا المجال أنواع التقدم الفكري القائم على التأملات الحكمية التي تحمل اسم المعتقدات والواجبات الدينية وسائر التكاليف والآداب الشرعية الإسلامية.

بالنظر إلى الثمرات التي يجنيها الإنسان من كل مجال من مجالات التقدم والرقي السابقة لابد أن

نلاحظ أن سُلّم الرقي مرتب الدرجات بشكل تصاعدي بدءاً من المجال الذي يخدم الجسد، ثم إلى المجال الذي يخدم المجتمع الإنساني، ثم إلى المجال الذي يخدم الروح. وبذلك يكون سُلّم الرقي الإنساني والحضارة المثلى ذات مراتب ثلاث، أعلاها مرتبة ما يخدم الروح ويأخذ بيد الإنسان إلى السعادة الحقيقية، ومن دونها تأتي مرتبة الرقي الذي يمنح المجتمع الإنساني سعادة التعاون والإخاء، والأمن والرخاء، وسيادة النظام والحق والعدل، ثم تأتي من دونهما مرتبة الرقي المادي الذي يخدم الجسد ويمتعه .

5- خصائص الحضارة الإسلامية :

لقد تناولنا فيما سبق مجالات الحضارة الإسلامية الثلاثة، وسبل تحقيقها، أما خصائص الحضارة الإسلامية التي تميزها عن غيرها من أنواع الحضارات الأخرى فأهمها ما يلي :

- **الحضارة الإسلامية حضارة عقدية**
- **الحضارة الإسلامية حضارة عالمية**
- **الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية**
- **الحضارة الإسلامية حضارة صالحة لكل زمان ومكان**
- **الحضارة الإسلامية حضارة متطورة**
- **الحضارة الإسلامية حضارة العلم**
- **الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين المادة والروح**
- **الحضارة الإسلامية حضارة الأمانة**
- **الحضارة الإسلامية حضارة العدل**

6- منجزات الحضارة الإسلامية:

لقد اعتنى المسلمون بالعلوم الطبيعية؛ حيث قاموا بترجمة المؤلفات اليونانية، ولكنهم لم يكتفوا بنقلها، بل توسعوا فيها، وأضافوا إليها إضافات هامة؛ تعتبر أساس البحث العلمي الحديث، وقد قويت عندهم الملاحظة، وحب التجربة والاختبار، وفيما يلي نتحدث عن أهم المنجزات العلمية في الحضارة الإسلامية.

1.6- علم الطب :

من فروع الطبيعيات صناعة الطب، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح؛ فيحاول صاحبها حفظ الصحة ، وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخصُّ كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية.

والدافع الرئيسي لاهتمام المسلمين بالطب والإبداع فيه الإشارات الطبية التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وهي كثيرة منها: قول الله سبحانه وتعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ البقرة:٢٢٢.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم"، وقوله صلى الله عليه وسلم : "ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء علمه من علمه و جهله من جهله".

وقد توصل الأطباء المسلمون إلى أراء جديدة في الطب تخالف أراء القدماء في معالجة كثير من الأمراض، واستخدموا في مستشفياتهم الكاويات في الجراحة، ووصفوا صب الماء البارد لقطع النزف أو معالجة الحميات، وعالجوا الأورام الأنفية وخياطة الجروح، وقطع اللوزتين، وشق أوراق الحلق، وقطع الأثداء السرطانية، وإخراج الحصاة من المثانة، وجراحة الفتق وجراحة العيون، وإخراج الجنين بالآلة، وإخراج العظام المكسورة، واستخدام المرقد (البنج أو المخدر)، كما فرقوا بين الحصبة والجدري.

وقد عرف المسلمون الأوائل التخصص، فلم يسمحوا لأحد بممارسة الطب إلا بعد نجاحه في امتحان في كتب التخصص المعروفة، للتأكد من سعة ثقافة الطلاب النظرية والعملية، وللوثوق من مهارتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج، قبل أداء اليمين، وحصولهم على شهادة مكتوبة تحدد لهم الأمراض التي يمكنهم مواجهتها وعلاجها. ومن التخصصات التي عرفها المسلمون طب الأمراض الباطنية، والجراحة، وطب العظام، وطب النساء، وطب الأطفال، وطب الأسنان، والطب النفسي والعقلي

منجزات الأطباء المسلمين :

أضاف الأطباء المسلمون إلى ما ترجموه وورثوه عن اليونان وغيرهم فألفوا ، وابتكروا منجزات جديدة من أهمها:

- اعتمدوا المشاهدة والتجربة وجربوا المنهج التجريبي.
- اعتمدوا التشخيص والنظر إلى تاريخ المريض الطبي.
- تنبهوا للعدوى، والأمراض المعدية.
- برعوا في علم الجراحة والتشريح.

– اكتشفوا الدورة الدموية الصغرى.

2.6– علم الصيدلة :

سماه العرب الصيدلة والصيدنة، والقائم به يُعرف بالصيدلي (أو الصيدناني) كما سمي بعلم المفردات أو العقاقير أو الأدوية.

لم يكن عند اليونان الذين تأثر المسلمون بطبهم بصفة عامة أي التفريق بين الطب والصيدلة كعلم ومهنة، فأول من قام بهذا التفريق هم المسلمون؛ حيث جعلوا الصيدلة علماً مستقلاً.

وقد اعتبر المسلمون المؤسسون الحقيقيون لهذا العلم، حيث إنهم ارتقوا به من تجارة العقاقير إلى علم أنشأوا له المدارس لتعليمه، والصيدليات لبيعه، كما وضعوا كتباً خاصة لتركيب الأدوية سموها (الأقراباذين) وكلمة أقرباذين كلمة يونانية الأصل، معناها (التركيب) أي تركيب الأدوية، وهي في عرفنا الحديث تقابل علم طبائع الأدوية وخصائصها المسمى بالفارماكولوجيا.

وقد استنبط علماء المسلمين أنواعاً كثيرةً من العقاقير تدلنا على ذلك أسماؤها العربية، التي لا يزال بعضها مستعملاً لدى الغربيين، كما اكتشفوا أدوية جديدة منها: السنابكة، الكافور، والحنضل وجوز الهند، والسبب في تقدم الصيدلة عند المسلمين اتباعهم لتوجهات وإرشادات الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة التي جاء فيها ذكر بعض الأدوية كقول عز وجل ﴿ :ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل:٦٩ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي ". وقوله" : إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام"

3.6– علم الكيمياء :

اعتمد علماء المسلمين في معرفتهم لعلم الكيمياء على الكتب المترجمة من اليونانية، وعلى كتب علماء الإسكندرية بالذات، ولكنهم لم يقفوا عند حد نقل كتب القدماء، بل قاموا باكتشافات مهمة، فهم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم وملاحظاتهم الدقيقة، ومستحضراتهم الهامة.

ومن إضافاتهم الهامة في الكيمياء اكتشافهم القلويات، وروح النشادر، ونترات الفضة ونترات الصودا، وغير ذلك من أنواع المواد الكيمياوية مما تقوم عليه كثير من الصناعات الحديثة من صناعة الصابون، والورق والحرير

ومن أهم كتب الكيمياء التي ألفها علماء المسلمين : كتاب الأسرار ، وكتاب سر الأسرار، وكتاب الاستتمام.

4.6- العلوم الرياضية:

تشمل العلوم الرياضية علم الحساب والجبر والهندسة وعلم المثلثات.

وقد وجه المسلمون جانباً كبيراً من اهتمامهم بالعلوم إلى الرياضيات، فذاعت دراستها لديهم ونبغوا فيها، وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود الكثير مما لم يكن معروفاً من قبل. وإلى القرآن الكريم يعود نشاط المسلمين في هذا العلم، فقد أثار القرآن العقل الإنساني، وجعل معرفة هذا العلم وسائر العلوم فرضاً على الكفاية لارتباطها بحياة المسلمين الدينية والدنيوية، فقد كانوا في حاجة على الحساب والجبر لحساب المواريث والفرائض وغيرها، وإلى الهندسة لبناء المساجد وتحديد القبلة، وإلى المثلثات لبناء المآذن والمنائر والجسور وغير ذلك، وفيما يلي بعض منجزاتهم في الرياضيات:

أ. الحساب:

لقد اقتبس المسلمون في بداية نهضتهم العلمية الأرقام الهندية كما أخذوا عنهم الصفر للدلالة على "لا شيء".ويرجع إلى علماء المسلمين إيجاد طريقة الإحصاء العشري، كما أنهم عرفوا الكسر العشري، وابتكروا الفاصلة للكسر العشري، وأحدثوا بذلك ثورة ضخمة في علم الحساب.

وقد وضع العلماء المسلمون مؤلفات كثيرة في الحساب ، من أهمها كتاب "الفصول في الحساب الهندي"، و"مفتاح الحساب"، و "الرسالة المحيطة"، وقد قام الغرب بترجمة هذه الكتب.

ب. علم الجبر:

لم تتوقف إسهامات علماء المسلمين في مجال الرياضيات على الحساب، وإنما امتدت إسهاماتهم إلى بقية العلوم الرياضية، وفي مقدمتها علم "الجبر" الذي لا يزال محتفظاً باسمه العربي في مختلف لغات العالم٦٠. وقد أصبح علماً قائماً بذاته، وله قيمة كبرى معروفة في حل المسائل العويصة للرياضيات، وله أيضاً قيمة علمية في تسهيل كثير من شؤون الحياة٦١.

ومن أهم إضافات المسلمين في علم الجبر استعمال الرموز التي تستخدم حتى اليوم، وهي (جـ) للجذر و (س) للمجهول و (م) للمربع المجهول، وثلاثة نقاط للتعبير عن النسبة. أما أشهر مؤلفات علم الجبر عند المسلمين فهو كتاب "الجبر والمقابلة" فكان منبعاً لعلماء المسلمين ، ولعلماء الغرب على حد سواء.

ج. الهندسة :

الهندسة فرع من فروع الرياضيات يؤدي إلى دراسة الأشكال من حيث الحجم والمسافة. وقد اهتم علماء المسلمين بهذا العلم؛ حيث قاموا بترجمة كتاب "الأصول" لاقليدس، وألفوا كتباً على مستواه أدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء، كما ابتكروا حلولاً لبعض المسائل الهندسية.٦٢

قسم المسلمون الهندسة إلى قسمين:

1. هندسة عقلية، وهي التي تعرف وتفهم، أو التي تسمى الهندسة النظرية.

2. الهندسة الحسية، وهي التي ترى بالعين، وتدرك باللمس أي الهندسة التطبيقية. وقد ركز المسلمون اهتمامهم على الهندسة التطبيقية.

د. علم المثلثات:

لئن كان المسلمون مسبوقين في الهندسة، فإنهم من أوائل واضعي علم المثلثات، فإليهم يرجع الفضل في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن علم الفلك؛ وعلم المثلثات ببحث في الزوايا وعلاقتها بالأبعاد.

وقد فاق علماء المسلمين في علم المثلثات غيرهم من العلماء؛ فهم أول من فَصَلُوا علم المثلثات عن علم الفلك، كما كانوا أول من استخدم الظلال، ظلال التمام والقواطع والجيوب، وجيوب التمام في قياس الزوايا والمثلثات

5.6- علم الفلك:

علم الفلك هو علم يبحث عن ظواهر الأجرام السماوية من النجوم والكواكب، وأحوالها وأبعادها وحركاتها.

وقد اتجه المسلمون لدراسة هذا العلم دراسة دقيقة نابعة من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوبوية وإشاراتهما إلى الموضوعات الفلكية، قال تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) الواقعة:٧٥-٧٦.

وقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يس:٣٨-٤٠.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين"، فانطلق المسلمون استجابة لتوجيهات القرآن والسنة ينظرون ويدرسون هذا الفضاء الفسيح؛ فبدءوا بترجمة الكتب التي تتحدث عن الفلك عند اليونان والفرس والهنود وغيرهم، ولم يكن اهتمامهم بالفلك ترفاً وإنما كان تلبية لدوافع علمية ودينية٦٧، حيث برعوا فيه، وأضافوا إضافات هامة منها: إدخال خطوط التماس في الحساب الفلكي، ووضع جداول لحركة الكواكب، وتوصلوا أيضاً إلى نظرية دوران الأرض وكرويتها وتحسين الاستطرلاب،٦٨ واختراع آلة الرصد "التلسكوب"، كما حددوا في جميع أنحاء الدولة الإسلامية اتجاه القبلة في المساجد.

أسباب اهتمام المسلمين بعلم الفلك :

هناك عوامل عديدة جعلت المسلمين يهتمون بدراسة علم الفلك من أهمها:

- الآيات القرآنية التي أنزلت في منفعة الأجرام.
- المساعدة على معرفة الخالق.

- معرفة موقع القبلة.
- الحاجة إلى حل المسائل المعقدة المتصلة بشروط رؤية الهلال.
- معرفة المواقع الجغرافية للبلدان، وحركة الشمس.
- ضرورة معرفة حركات النيرين.

6.6- علم الجغرافيا:

تعني كلمة "جغرافيا" صورة الأرض، فهو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الركن المسكون من كرة الأرض، وعرض البلدان الواقعة فيه وأطوالها، إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور.

كان المسلمون الأوائل يعيشون في بيئة صحراوية، ارتبطوا بها، ولمسوا تغيرات الجو، وعرفوا تطوراته، وكانت تضاريس الصحراء، وما بها من جبال وتلال وهضاب وسهول ووديان، وأماكن المياه، كان ذلك دافعًا لهم للاهتمام بعلم الجغرافية وبراعتهم فيه إلى جانب الآيات والأحاديث التي لها ارتباط وثيق بالموضوعات الجعرافية، مثل قول الله عز وجل: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) النمل:٨٨، وقوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) النازعات:٣٠، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي".

لقد استفاد المسلمون من معارف الأمم السابقة في الجغرافية، وأضافوا إليها معلومات جغرافية كثيرة، فقد برعوا في مجال الجغرافيا الوصفية، وهي ما عرف بعلم المسالك والممالك، وقاموا في ذلك بعدة رحلات برية وبحرية كثيرة وصفوا خلالها الطرق والمسافات والمدن والأقطار وصفًا دقيقًا رائعًا، كما برع المسلمون في مجال التأليف الجغرافي ومحاولة التفسير العلمي لبعض الظواهر الجغرافية.

أسباب اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا :

هناك عوامل عديدة سهلت دراسة الجغرافيا عند المسلمين من أهمها:

- أداء فريضة الحج.
- الفتوحات الإسلامية.
- طلب العلم.
- وضع الخراج على الأقاليم.
- حركة التجارة.
- السفارات الإسلامية السياسية مع الدول الأخرى.
- حب المسلمين للسياحة والرحلات لاسيما المغاربة.

ومن أهم المؤلفات في علم الجغرافيا عند المسلمين كتاب "نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق"، وكتاب "معجم البلدان

علم الأحياء :

لقد اهتم المسلمون بعلم الأحياء اهتماماً كبيراً ؛ حيث قاموا بدراسة النباتات والحيوانات، وفي الفقرات التالية سوف نتحدث عن علم النبات والحيوان عند علماء المسلمين.

7.6- علم النبات :

علم النبات علم يبحث عن خواص النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها. وقد كان الوحي بشقيه حافزاً على البحث والتقصي في هذا العلم قال تعالى: (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) النمل:٦٠، وقوله جل جلاله: (يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) النحل:١١. وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "أيما امرئ أبر نخلاً ثم باع أصلها فللذي أبر ثمر النخل إلا أن يشترط المبتاع"، وقول : "لا يغرس المسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة".

واستمد علماء المسلمين علمهم في مجال النبات من مصادر مختلفة هندية وفارسية ويونانية، وكان اهتمام المسلمين في علم النبات في البداية مبنياً على أغراض لغوية، ولكنها تطورت وصارت لأهداف متنوعة منها الزراعة والصيدلة وتجميل المنازل والمنتزهات والحدائق والبساتين.

أما إسهامات المسلمين في علم النبات فتمثل في الآتي:

- علماء المسلمين أول من وضع أساس علم النبات وطبيعة الأرض على أساس علمي تجريبي وفق ما كانوا يملكون من معطيات وأدوات.

- اتجه علماء المسلمين إلى دراسة النباتات والحشائش التي لها قيمة طبية، واستخلصوا منها مواد كثيرة للطب والصيدلة.

- اهتموا بعلم الزراعة والفلاحة والبساتين، فحفروا الآبار والترع ، وأنشؤوا حدائق ومزارع.

8.6- علم الحيوان :

ارتبط اهتمام المسلمين ارتباطاً وثيقاً عند دراستهم لعلم النبات بدراسة علم الحيوان، وكانت تعاليم القرآن والسنة الشريفة والإشارات العلمية الواردة فيهما خير دافع للمسلمين للبحث في ميدان علم الحيوان، والآيات التي جاءت فيها الإشارات إلى هذا العلم كثيرة منها قوله تعالى: وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ النحل:٥-٨، وقوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) الغاشية:١٧.

وكانت المعاجم اللغوية من أبرز الوسائل لمعرفة دراسة الحيوان من حيث شكله الخارجي وأحواله ومعاشه وأوصافه واختلاف أجناسه، وهذه المعاجم عربية أصيلة ليس للثقافات القديمة عليها تأثير.

وقد اهتم علماء المسلمين بمعرفة وتدوين الملاحظات الدقيقة على كل حيوان من الحيوانات فيما يختص بحياته وخلقه، واهتموا أيضاً بعلم البيطرة والثروة الحيوانية وكل ما يتعلق بتطورها ونمائها، وسبقوا غيرهم من الأمم إلى الحديث عن سلوك الحيوان.

ومن أشهر الكتب لدى المسلمين في علم الحيوان "كتاب الطير" و "كتاب النحل والعسل" و "كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسنانها".

العوامل التي أدت إلى تطور علم النبات والحيوان:

- وجود آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن النبات والحيوان.
- أمر الله عزوجل الإنسان أن ينظر ويتأمل في النبات والحيوان.
- حاجتهم للنبات إلى علاج بعض الأمراض.

9.6- علم الفيزياء

ويعرف أيضاً بعلم الطبيعة، وهو واحد من العلوم العقلية التي اهتم بها المسلمون اهتماماً كبيراً. لقد أخذ المسلمون الفيزياء في بداية أمرهم من علوم اليونان، لكنهم تفوقوا تفوقاً كبيراً، وأصبحوا رواداً في مجال الفيزياء، وذلك لأن اليونانيين كانوا يعتمدون على النظري فقط، بينما اشتغل علماء المسلمين بالتجربة، والاستقراء والتطبيق.

ومن أهم إضافات المسلمين وإنجازاتهم في الفيزياء الحركة والسكون ومركز الثقل، وجر الأثقال بالقوة اليسيرة، وكذلك انكسار الضوء، والمرايا المحرقة، والجاذبية، والثقل النوعي والقوانين النمائية، التي تحكم العيون والينابيع والآبار الارتوازي.

وهناك ظواهر طبيعية فيزيائية مهمة نجح المسلمون في فهمها ، ووضْع نظريات علمية لها، ونخص بذلك قانون الجاذبية الذي ذكروا أن إسحاق نيوتن هو أول من نادى بنظرية الجاذبية، ولكن الحقيقة أن اليونانيين القدامى وعلى رأسهم أرسطوا انتبهوا لظاهرة سقوط الأجسام، وبعدها اهتدى علماء المسلمين بفضل دينهم الحنيف إلى التفسير العلمي لظواهر الكون، وقدموا لتفسير السقوط الحر للأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية .

وقد قام المسلمون بدراسات وأبحاث قيمة في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والضوء والمرايات وغيرها من المواضيع .

7- فضل المسلمين على الحضارة العالمية :

إن للمسلمين دور في خدمة الحضارة بالمفهوم العالمي، فكانت لهم مساهمة في تقدم العلوم العملية والنظرية، والدافع الذي يدفعنا إلى إثبات هذه الحقيقة للعرب وانعكاس شعاعها على الحضارة العالمية، هو أن الكثير من العلماء المستشرقين، ينكرون فضلها ويعتقدون أن العقل العربي عقيم وليس له أي دور في بناء الحضارة، وأنه لا يوجد عالم من علماء العرب وصل إلى الدرجة العلمية التي وصل إليها أمثال " غاليلي " و " نيوتن " و " كبلر " و " آينشتاين " و غيرهم من علماء الغرب، وهذا الاعتقاد في نظرنا قائم على تجاهل التراث العلمي الاسلامي، وبالمساهمة التي قدمها العقل المسلم في جميع جوانب الحضارة الإنسانية ببعديها المادي، والمعنوي ، فهذا " البارون كارا دوفو " يقول : في كتابه تراث الإسلام (لا ينبغي أن نتوقع أن نجد لدى العرب تلك العبقرية الخارقة، وتلك الموهبة الموجودة في المخيلة العلمية وذلك الحماس وذلك الابتكار في الفكر مما نعرفه عند الإغريق، فالعرب قبل كل شيء إنما كانوا تلاميذ للإغريق، وما علومهم إلا استمرار لعلوم اليونان التي حافظوا عليها ورعوها، وفي بعض الحالات طوروها وحسنوها " إن هذا التشويه للعقلية العلمية العربية من طرف علماء الغرب، هو التعويض عن إحساسهم بالنقص والضعف، والعقم المعرفي فقد استفادوا من جهود العرب في ميادين المعرفة والعلم من دون أن يكون هناك رد الجميل المادي والمعنوي، غير أن هناك من المستشرقين الذين رفعوا الظلم والزور عن العقل المسلم، وأقروا بقيمته وفضل علمائه أن بعض المؤرخين استخفوا بتقدم الشرف للعمران، ويصرحون بأن للعرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئا ما، ... إن هذا الرأي خطأ ، وأنه لعمل عظيم جدا أن ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية، ويحافظوا عليها ولولا ذلك لتأخر سير المدنية بضعة قرون" نجد جورج سارتون بهذا النص يقف بالمرصاد في وجوه هؤلاء ويرد الحق لأصحابه فيكفي كما قال أن العرب نقلوا لنا كنوز اليونان وحافظوا عليها ولولاهم لما تمكنا من معرفة تراث اليونان ولتأخرت المدنية ونجد زيغريد هونكة المستشرقة الألمانية تذهب إلى ما ذهب إليه " سارتون " فتقول : ((وشاء الله أن يظهر من الأوروبيين أن يجهر وينادي بهذه الحقيقة ، فلا نغمط للعرب حقهم في أنهم حملوا رسالة عالمية وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا ، إن هذا النفر من الأوروبيين المنصفين لا يأبه من تحدي أولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصبهم الديني فحاولوا جهد طاقاتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية أو التقليل من شأنها)).

يكفي أن نقول أن العرب قد أكتشفوا وابتكروا نظريات جديدة في ميادين العلم المختلفة ولم يتوقفوا عند الترجمة ، وأن أغلب كتبهم نقلت إلى اللغات الأجنبية . وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على تأثر الآخر بهم .

وفي الأخير نقول أن أساس النهضة العلمية عند العرب المسلمين ، كانت قائمة على أصول معرفية، قادهم إليها نور الإسلام وهديه ، فالقرآن كان لهم بمثابة منطق، سيال مفعم، بالحقائق التي تقود نحو صرح السعادة والخير التي تنشدها الحياة الإنسانية، وتحاول الوصول إليها. فقد كان الإسلام يحث على التعلم، وطلب العلم، والقرآن الكريم و آياته الكريمة مصدر إشعاع تدعو إلى البحث والكشف ، وتقصي الحقائق العلمية ، فتمخضت عن هذه الدعوة القرآنية للعلم اكتشاف علوم، منها ما هي ضرورية ترتبط بنظام حياة المسلم، ومنها ما هي عالمية، تجلب الخير لكافة البشرية، وبالفعل كما لاحظنا عند عرضنا لبعض النماذج من العلوم فإننا وجدنا أن العرب قد أبدعوا في ميادين العلم والفكر، وكان لهم فيها الفضل حتى على المستوى العالمي، فحق علينا أن نقول في هذا المقام أن العقلية العربية الإسلامية قد سبقت زمانها، فأناروا الدنيا بمشاعل الحضارة، والتقدم والازدهار فوصلت مشاعلهم إلى عصرنا الحديث، لتنير حضارة القرن العشرين ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)).

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

-**إبن خلدون عبد الرحمن**، المقدمة، تحقيق : أحمد جاد، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، القاهرة، 2007م.

- **أبو خليل شوقي** ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، دمشق، 2005م.

- **أبو مصطفى كمال السيد** ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، 1997م.

- **الابيض أنيس** ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جروس برس، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، 1994م.

- **البدوي عبد الرحمن** ، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995م.

- **زيدان جرجي** ، تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

- **سالم السيد عبد العزيز وآخرون** ، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مجموعة بحوث ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000م.

- **عارف نصر محمد** ، الحضارة –الثقافة– المدنية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الثانية، عمان، 1994م.

- **محمد حسين حمدي عبد المنعم** ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

- **مؤنس حسين** ، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1987م

تمهيد :

يُقصد بكلمة المغرب الاسلامي أراضي الدول التي تُسمى اليوم دول المغرب العربي الكبير، وهي ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية وموريطانيا والصحراء الغربية، ويرجع ظهور مصطلح المغرب إلى النصف الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ويبدو أنه استُعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، أما إطلاق مصطلح المغرب على شمالي إفريقيا كله أو جزء منه، فإن أغلب الظن أنه لم يقع قبل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

1- بلاد المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر الأموي:

لم يكد عمرو بن العاص **رضي الله عنه** يتمُّ فتح مصر عام 21 هـ / 642 م حتى تابع سيره إلى ساحل المتوسط غرباً، وضرب حصاراً على برقةَ فصالحه أهلها على دفع الجزية، ثم تابع سيره، فدخل طرابلس بعد حصارٍ دام شهراً، ليكمل فتح الساحل الليبي بدخوله صبراتة، وبالوقت نفسه، أتم عقبة بن نافع الفهري **رضي الله عنه** عمليات السيطرة على الواحات الداخلية مثل فزان و زويلة بتكليف من عمرو. وتوقف الفتح في عهد الخليفة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عند هذه المناطق، وعاد عمرو بن العاص إلى مصر خوفاً من هجمات قد يقوم بها الروم في حال غيابه عنها. في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قام العرب المسلمون بمحاولات فتح متعددة في جهات إفريقيا، وقد قاد أولى العمليات عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه والي مصر، وسُمِّيت تلك الحملات التي دامت سنتين 27 . 29 هـ/ 647 - 649 م بحملات العَبادِلة. وفي إحدى هذه الغزوات انتصر العرب على الروم في موقعة بعقوبة، وتمكنوا من قتل حاكم إفريقيا غريغوريوس ثم انسحبوا منها مقابل حصولهم على الجزية، ثم امتنع الروم عن دفعها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان بن عفَّان. وحينما استقام الأمر لمعاوية في دمشق سنة 42هـ/661م كلف معاوية بن حديج قيادة حملة من عشرة آلاف جندي، مكنته من هزيمة البيزنطيين وعلى رأسهم نقفور، واحتل المسلمون قلعة «جلولاء»، وتمكنوا من فتح بنزرت وجزيرة جربة واكتفى ابن حديج بهذا القدر ودخلت حملته التاريخ بوصفها غارة سبقت فتح إفريقيا، لأن الفتح الحقيقي لم يتم إلا على يد عقبة بن نافع الذي عينه معاوية بن أبي سفيان والياً على إفريقية حينما توجه إليها سنة 49هـ، بعشرة آلاف جندي، واختط مدينة القيروان التي أصبحت مركز قيادة جيوش المسلمين، تخرج منها وتعود إليها. وفي سنة 55هـ/675م عزل معاوية عقبة بن نافع بإشارة من والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري لخصومة

كانت بينهما، وعين مكانه أبا المهاجر دينار، الذي وصلت جيوشه إلى أبواب مدينة تلمسان في الجزائر الحالية.

تميز أبو المهاجر بسياسته اللينة تجاه السكان في المغرب، وفي عام 61هـ/ 681 م أعاد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقيا ليقوم بحملته المعروفة التي اخترق فيها المغرب العربي حتى أقصاه ويصل إلى المحيط الأطلسي، ولكن «كسيلة»، زعيم قبيلة أوربا، تمكن من مباغتة عقبة بن نافع مع حلفائه الروم على مقربة من مدينة «تهوده» (سيدي عقبة) وقتل الجميع عام 65 هـ / 684 م، ودخل كسيلة القيروان ليبقى فيها قرابة أربع سنوات.

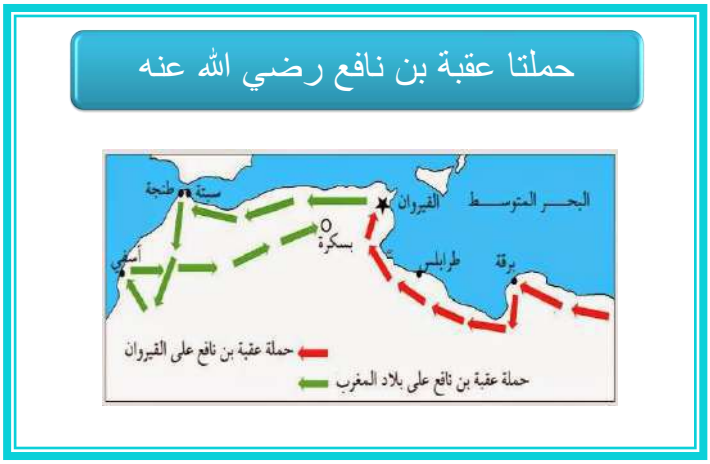

وعندما استتب الأمر لعبد الملك بن مروان أرسل زهير بن قيس البلوي للقضاء على تمرد كسيلة، ودارت معركة بين الطرفين في موقع «ممس»قرب القيروان عام 69 هـ / 688 م انتصر فيها العرب على عدوهم، لكن زهير ما لبث أن استشهد ومن معه في معركة غير متكافئة مع البيزنطيين.

وفي عام 73 هـ / 692 م عُين حسان ابن النعمان الغساني والياً على المغرب العربي، وقام بمهاجمة الروم المتحصنين بعاصمتهم «قرطاجنة»، فسيطر عليها، وألحق بالبيزنطيين هزيمة كاسحة، لكنه أخفق أمام بربر الأوراس، بزعامة الكاهنة داهيا بنت ماتيا، التي تدين هي وقومها جراوة باليهودية، وتراجع حسان إلى الشرق حتى حدود ولاية إفريقية.

وفي عام 79 هـ / 698 م وصلت إمدادات جديدة من مقر الخلافة بدمشق، وتوجه حسان إلى منطقة قابس ثم إلى بلاد الجريد، حيث تُوجد الكاهنة، التي واجهته في معركتين، فقتلت في الثانية، وعاد بعدها حسان إلى القيروان، وقام بفتح قرطاجنة وتخريبها نهائياً، وبنى بالقرب منها مدينة تونس، واتجه إلى تنظيم

الإدارة في البلاد فأنشأ الدواوين ونظم الخراج. وهكذا استطاع حسان أن يحول إفريقيا إلى بلد عربي إسلامي، بعد أن اجتذب إليه البربر وأصبح أكثر جيشه منهم.

وفي عام 85 هـ / 704م عُزل حسان ابن النعمان عن ولاية إفريقيا، وعين بدلاً منه موسى بن نُصير، الذي تمكن من إتمام عمليات الفتح بسرعة مذهلة بين سنتي 87 و90هـ / 706 و709م، وإخضاع بلاد المغرب كلها ما عدا سبته التي استعصت عليه لمناعتها ووصول الإمدادات إليها من البحر المطلة عليه.

المراحل الرئيسية في فتح بلاد المغرب

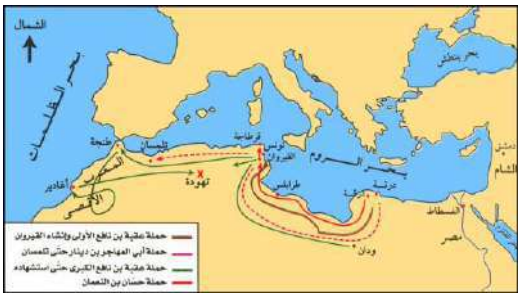

2- عصر الولاة في بلاد المغرب الاسلامي:

تعد فترة تبعية المغرب للخلافة (عصر الولاة) – والتى تمتد من سنة (96هـ = 715م) إلى سنة (184هـ =800م) – من أهم الفترات وأخطرها فى تاريخ المغرب الإسلامى، وقد اختلفت هذه الفترة عن سابقاتها، لأن فترة الفتح كان يغلب عليها النشاط العسكرى، واتسمت بالامتداد والانحسار، والخوف والاضطراب، ولم يعرف المسلمون شيئًا من الاستقرار بالمغرب إلا بعد تأسيس مدينة القيروان على يد «عقبة بن نافع»، ثم تمَّ لهم الاستقرار بفضل جهود: «زهير بن قيس»، و «حسان بن النعمان»، و «موسى بن نصير».

وقد اتسم عصر الولاة بسمات وصفات معينة؛ فهو عصر الاستقرار العربى على أرض «المغرب»، ووضح فيه موقف الخلافة من المنطقة، وما ترتب على ذلك من علاقة بين الخلافة والولاة، فضلا عن علاقة الولاة بسكان هذه البلاد، يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية المختلفة التى ترتبت على هذه العلاقات؛ حيث ثار «المغرب الأوسط» وانفصل عن «الخلافة الأموية»، ثم انتقلت عدوى الثورة إلى

المغربين الأقصى فالأدنى، وبذلت «الخلافة العباسية» جهودًا كبيرة، وأموالا طائلة، ورجالا كثيرين، فى سبيل الحفاظ على هذه الأقاليم، ولكن الأمور أسفرت عن مجرد سلطة اسمية للخلافة العباسية على «المغرب الأدنى» مُمثَّلة فى قيام «دولة الأغالبة»، وقامت دويلات مستقلة بالمغربين الأوسط والأقصى.

3-حكم الولاة في المغرب والأندلس :

أ- المغرب:

مر المغرب بعد انتهاء اعمال الفتوح بمرحلة عرفت تاريخياً باسم " عصر الولاة " كان المغرب خلالها جزأ من الدولة الاموية تدار اموره من العاصمة المركزية دمشق بواسطة عامل اتخذ له من مدينة القيروان عاصمة . وما لبث بعد فتح الاندلس ان شمل نفوذه هذا الاقليم الجديد . وكان الوالي يفوّض امور الحكم في الاندلس الى والٍ او أمير.

عمد الحكم العربي في الشمال الافريقي الى تقوية صلاته مع البربر عن طريق نشر الاسلام وتعريب الناس . وقد لاقت هذه السياسة في البدء نجاحاً كبيراً ، اذ تحول البربر بأكثريتهم الى الدين الجديد فانتشر الاسلام سريعاً بينهم وظهرت طبقة من المسلمين الجدد شديدة الحماس للدين وللغة العربية التي حلّت شيئاً فشيئاً محل اللغات المحلية واصبحت ، بفضل القرآن الكريم، اللغة الاكثر انتشاراً بين البربر . والى جانب الأسلمة والتعريب عمد الحكام العرب الى احترام عادات البلدان المفتوحة وتقاليدها ، بخاصة ما لم يتعارض مع الاسلام او مع سياسة الدولة العليا . فأبقوا على النظم الادارية السائدة وتركوا أكثر الوظائف بأيدي البربر وسواهم من سكان البلدان الاصليين.

لم تستمر هذه العلاقة على سلاستها وتسامحها ، اذ بدأت تظهر باكراً بعض الاشارات المقلقة بفعل جنوح الولاة نحو تغليب مصالح العرب على سواهم مما حمل البربر على الشعور بأنهم أصبحوا أتباعاً ومحكومين. ومع ميل البربر الذين عرفوا بالأنفة والكبرياء والميل للمشاكسة والقتال الى رفض هذا الواقع الجديد، وبدء ظهور صراع عربي بربري شجعته جماعات الخوارج التي توافدت الى المغرب اثر الصراع بين معاوية وعلي رضي الله عنهما في المشرق، ظهرت بوادر ثورة شعبية ما لبثت ان تحولت سنة 122هـ / 740م الى ثورة بربرية شاملة ضد عامل الامويين المقيم في القيروان بقيادة ميسرة المطغري ، احد زعماء قبيلة زناتة القوية التي كانت قد انحازت الى الخوارج وآمنت بتعاليمهم . وتمكن ميسرة من تحقيق نصر عسكري في معركة حاسمة قرب مدينة طنجة مما امّن له بسط سلطانه على المغرب الاقصى بكامله. غير أن هذا الثائر سرعان ما اختلف مع اتباعه فقتلوه وسلموا الزعامة لثائر آخر هو خالد بن حميد الزناتي.

جمع ابن الحبحاب والي القيروان جيشاً كبيراً وعززه بقوات جاءته من جزيرة صقلية وسار به للثأر لهزيمته في طنجة . غير أن المعركة انتهت بهزيمته مرة ثانية . وكانت هذه الهزيمة مدوية أطلق عليها المؤرخون اسم " غزوة الاشراف " لكثرة من قتل فيها من أشراف العرب وسادتهم . واصابت الهزيمة صدىً واسعاً في العالم الاسلامي فعم الاضطراب الشمال الافريقي وتداعت دعائم الحكم وانتشرت الفوضى.

وفي دمشق ذهل الخليفة هشام عبد الملك لهول الخسارة فأرسل على عجل جيشاً ضخماً من عرب بلاد الشام بقيادة كلثوم بن عياض القشري وانضم اليه من بقي على ولائه من البربر.

جاءت المواجهة التي وقعت على ضفاف نهر سبو على غير ما تمنى وأراد الخليفة ، اذ دارت الدائرة على العرب وقتل منهم خلق كبير بينهم قائد الحملة كلثوم بن عياض وتراجعت الجيوش الاموية الى مدينة سبتة فأخضعها البربر لحصار شديد . وبذلك انحصر نفوذ الامويين لمدة طويلة وساد نفوذ البربر في المغرب الاقصى.

ب-الاندلس:

تولت مجموعة من الولاة حكم اسبانيا بعد سقوطها في يد العرب. وكانت البلاد تتبع سياسياً وادارياً الامارة في القيروان . غير أن هذا الواقع تفجر سنة 138هـ/ 756 م عندما بدأ ما بات يعرف بعصر الامارة الاموية وأصبحت البلاد تعرف رسمياً بالاندلس . وبين قيام الامارة وانتهاء ايام الفتح تولى حوالى عشرين والياً حكم اسبانيا الاسلامية . وكانت دمشق تعين هؤلاء ، نظرياً في بعض الحالات ، ذلك لأن قسماً من الولاة فرضهم جنودهم المقيمون في اسبانيا وتغاضت دمشق عن ذلك وسكتت وباركت . وكانت العاصمة الاموية تنظر الى عصر الولاة على انه انتقالي ، وكانت تحضر لاقامة حكم مركزي يربط الاندلس مباشرة بدمشق بدل المرور بطريق القيروان.

كان عبد العزيز بن موسى بن نصير أول الولاة . وهو ابن موسى بن نصير والي " أفريقية" . وتبعه في الولاية من بعد اغتياله في مسجد أشبيلية ، ايوب بن حبيب اللخمي الذي نقل العاصمة من أشبيلية الى قرطبة . وجاء بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي فالسمح بن مالك الخولاني فعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فعنبسة بن سحيم الكلبي الذي كان اطول الولاة حكماً اذ اقترب عهده من خمس سنوات . وخلفه عذرة بن عبد الله الفهري فيحيى بن سلمة الكلبي فحذيفة بن الاحوص الأشجعي فعثمان بن ابي نسعة الخثعمي فهيثم بن عبد الله الكلابي فمحمد بن عبد الله الأشجعي فعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي قتل بعد سنة وبضع اشهر ، فعبد الملك بن قطن الفهري فعقبة بن الحجاج السلولي الذي تصدى للثائرين البربر في طنجة وهزم فخلعه أهل الاندلس واعادوا عبد الملك بن قطن الفهري الى الولاية ولكنه

عندما استعان بجيش بلج بن بشر القشري لمواجهة اضطرابات كادت تودي به انجده هذا الاخير وعزله من الحكم وتولى الولاية مكانه . ثم جاء ثعلبة بن سلامة العاملي فابي الخطار بن ضرار الكلبي فثوابة بن سلامة الجذامي فيوسف بن عبد الرحمن الفهري.

تعاقب على حكم المغرب العربي من قبل الأمويين عدد من الولاة، قام معظمهم بمتابعة الفتوحات على جبهتين: الأولى في المغرب الجنوبي، أي من السوس حتى بلاد السودان، والثانية: في أوربا، التي هاجموها عبر «البيرينيه» بعد فتح ولاية الأندلس وانحسر نطاقها بعد كارثة بواتييه. وفي عام 107هـ/725م قام الوالي بشر بن صفوان بحملة على صقلية. وفي عام 113هـ/ 732م وجه الوالي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي حملة إلى صقلية بقيادة المستنير بن الحبحاب. وعمل الولاة على نشر الإسلام بين السكان، وذلك عن طريق العلماء وبعض التابعين.

في عام 122هـ/ 739م قام الخوارج في المغرب بثورة على الأمويين، وقاد الثورة ميسرة المتغري، وهاجم الثوار طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي، وعندما سمع عبيد الله بن الحبحاب بمقتل عماله في المغرب الأقصى، أرسل خالد بن حبيب الفهري على رأس جيش للقاء ميسرة، وتم اللقاء بالقرب من طنجة، وانتصر خالد على ميسرة الذي عاد إلى طنجة وهناك قتله أصحابه وولّوا قيادتهم خالداً بن حبيب الزناتي، الذي انتصر على ابن حبيب الفهري، وقتله مع جميع أصحابه. وعندما علم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بما حدث، أرسل جيشاً كبيراً إلى المغرب فوصل إلى إفريقيا عام 123هـ/ 741م. غير أن المغاربة تمكنوا من هزيمة جيش الخليفة وقتل قائديه حبيب بن أبي عبدة وكلثوم بن عياض، لكن تم للأمويين أخيراً القضاء على هذه الثورة في موقعتي الأصنام والقرن بقيادة حنظلة بن صفوان عام 124هـ/742م، وبذلك تم تخليص المغرب الأدنى من الخوارج، وبقي المغربان الأوسط والأقصى بأيديهم، ولم يستطع الأمويون بعد هشام بن عبد الملك التصدي لهم، لأن الخلفاء الذين جاؤوا بعد هشام كانوا منشغلين بصراعاتهم الداخلية التي ترافقت مع قيام دولة بني العباس.

4- قيام الدويلات المستقلة ببلاد المغرب:

لم يكن للدولة العباسية أثر يذكر في المغرب في بداية عهدها لانشغالها بتثبيت دعائم الحكم، الأمر الذي مهد السبيل أمام عبد الرحمن بن حبيب (من أحفاد عقبة بن نافع) للسيطرة على القيروان وإخراج واليها حنظلة بن صفوان عام 127 هـ / 745 م. ومن أجل تدعيم موقفه اعترف عبد الرحمن بسيادة الدولة العباسية، غير أنه وإخوته لم يتمكنوا من ضبط الأمور في المغرب، لأن الخوارج قضوا على

نفوذهم بمساعدة بعض القبائل ليدخل المغرب العربي مرحلة جديدة بقيام دول مختلفة على أرضه وفق ما يأتي:

1.4- الدولة المدرارية بسجلماسة:

قامت الدولة المدرارية الصفرية في سجلماسة في الجنوب الغربي من بلاد المغرب، حيث بايع الصفرية شخصا أسود لإمامتهم عام 138 هـ / 755 م، هو عيسى بن يزيد الأسود من كبار الخوارج الصفرية، وهو الذي اختط مدينة سجلماسة وأصبحت عاصمة لدولته ثم عزله أتباعه وقتلوه سنة 167 هـ / 784 م، وعينوا مكانه أبا القاسم بن سمكو المكناسي الذي خلفه بنوه، وأحفاده: أبو القاسم سمعون المكناسي وابنه إلياس وأخوه اليسع وابنه مدرار الملقب بالمنتصر، وعمل المدراريون بالزراعة والصناعة والتجارة، إلى أن قضى الفاطميون على دولتهم سنة 296 هـ.

2.4- الدولة الرستمية (هـ 160 777/296 908 م):

تنسب هذه الدولة إلى القاضي عبد الرحمن بن رستم الذي انضم إلى أتباع أبي الخطاب الإباضي بعد مقتله في مواجهة مع الجيش العباسي سنة 144 هـ / 762 م. وبايعه الإباضيون إماما لهم، فأقام

دولته بالمغرب الأوسط وجعل مدينة تاهرت عاصمة لها. وفي عهد أبنائه وأحفاده امتدت رقعة دولتهم لتصل إلى ضفاف النيجر جنوبا، وكانت معاصرة لدولة الأغالبة في تونس وبني مدرار في سجلماسة والأدارسة في فاس، واستمرت دولتهم عامرة إلى إن دخل أبو عبيد الله الشيعي إلى تاهرت سنة 296 هـ / 908 م، لتصبح جزءا من الدولة الفاطمية.

3.4- الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى (172-309هـ / 788-920م):

أسس الدولة الإدريسية إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي غادر المشرق هربا من العباسيين إثر الثورة التي قام بها ابن عمه الحسين بن علي بن الحسن عام 169 هـ / 786 م، فنزل بمدينة طنجة ثم انتقل إلى وليلى. وقام إدريس بغزو منطقة ماسة جنوب مدينة فاس حيث توجد جماعات من اليهود، وأخضع منطقة تامسنا ومناطق أخرى مثل تازا وتلمسان، وبعد مقتل إدريس عام 175 هـ / 792 م، رزق بولد من جاريته كنزة، وسمي هذا الولد إدريس الثاني وبايعه الناس بعد أن بلغ عمره أحد عشر عاما. وقام بغزو منطقة تلمسان ومنطقة السوس حيث حاصر مدينة نفيس واحتلها. وفي عهده تم إنشاء مدينة فاس عام 192 هـ / 808 م. لتصبح عاصمة دولته، وحكم بعد إدريس الثاني ابنه محمد الذي قسم أراضي الدولة على عدد من إخوته، وكانوا جميعا يدينون له بالطاعة، ولكنهم ما لبثوا أن استقلوا في عهد ابنه يحيى. وكانت الحروب مستمرة فيما بينهم إلى أن قضى الفاطميون على دولتهم سنة 297 هـ. فلجؤوا إلى منطقة قريبة من سبتة.

4.4- دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى (هـ 184 800/296 909 م):

أسس هذه الدولة إبراهيم بن الأغلب التميمي، الذي أرسله الخليفة هارون الرشيد واليا على إفريقيا لمواجهة الأخطار الناجمة عن توسع الادارسة وظهور بني رستم في المغرب الأوسط وبعد أن استقام الأمر لابن الأغلب في تونس كتب إليه الخليفة أن تكون هذه الولاية له ولأبنائه من بعده على أن يكونوا خاضعين للدولة العباسية، وقد تداول حكم ولاية إفريقيا أحد عشر أميرا من الأسرة الأغلبية. وكان الحكم ينتقل من الأب إلى الابن، وأحيانا من الأخ إلى أخيه، وأحيانا من العم إلى ابن أخيه. ودخل في دولة الأغالبة عناصر بشرية متعددة منهم:

بقايا البيزنطيين، وأفارقة من أهل البلاد من بقايا الفينيقيين واللاتينيين والبربر والفتيان والعبيد والعرب والفرس. وقام الأغالبة بفتح صقلية على مراحل، بدأت بحملة أسد بن الفرات سنة 212 هـ / 828 م وانتهت في زمن حكم إبراهيم الثاني الأغلبي سنة 264 هـ / 878 م، بعد أن غادرها البيزنطيون. وحدث ازدهار اقتصادي في ولاية إفريقيا في فترة حكم الأغالبة، وشهدت مدينة القيروان في عهدهم ظاهرة ثقافية ساعدت على نمو الحركة العلمية وتقدمها في إفريقيا، كما شهدت البلاد في عهدهم نهضة

عمرانية على صعيد المدن، إذ أسس إبراهيم بن الأغلب مدينة العباسية عام 185 هـ / 801 م، وأسس إبراهيم بن أحمد الأغلبي مدينة رقادة عام 263 هـ / 877 م. وأنشأ الأغالبة العديد من المساجد وإليهم ينسب تجديد مسجد القيروان الذي بناه عقبة بن نافع، و إنشاء مسجد جامع الزيتونة بمدينة تونس، وجامع سوسة عام هـ 851/236 م. واهتموا كذلك بإنشاء الأربطة والأسوار حول المدن، وأهم الأربطة التي نسبت إليهم، رباط سوسة عام 206 هـ / 822 م، ورباط المنستير عام هـ 794/180 م، ومن الأسوار التي أقاموها سور مدينة سوسة وسور مدينة سفاقس، اللذين أنشأهما إبراهيم بن أحمد الأغلبي. وقد استمرت دولتهم إلى أن قضى عليها الفاطميون بدخول أبي عبد الله الشيعي إلى تونس سنة 296 هـ / 909 م.

5- أهم دول المغرب الاسلامي التي قامت بعد سقوط الدول المستقلة:

1.5- الدولة الفاطمية (297-362هـ/ 909-972م):

كان المغرب موضع اهتمام أتباع الدعوة الشيعية منذ إعلان قيام الدولة العباسية، لذلك صدرت التعليمات إلى أبي عبد الله الشيعي (الحسين بن أحمد بن زكريا) بالتوجه من صنعاء إلى المغرب لنشر مبادئ الدعوة هناك، وفي الطريق التقى بمكة وفداً مغربياً من كتامة، وأخبرهم عن مهمته، وأنه متجه إلى المغرب بأمر من الإمام الذي كان مختفياً في سلمية بالشام، فصحبهم إلى بلادهم بعد أن وعدوه بالمؤازرة. وفي غضون ذلك توفى الإمام المستور وتولى من بعده ولده عبيد الله الملقب بالمهدي وغادر الشام هارباً إلى المغرب بعد أن اشتد الطلب في أثره. وبعد رحلة شاقة وقع عبيد الله بعد وصوله إلى المغرب بيد المدراريين وأُودع في سجن سجلماسة بالوقت الذي وصل فيه أبو عبد الله الشيعي إلى المغرب، وتمكن بمساعدة كتامة من السيطرة على سجلماسة، فأخرج سيده من سجنه سنة 296هـ/908م وبايعه بالخلافة، واتجه الاثنان مع من انضم إليهما إلى المغرب الأوسط فقضوا على الدولة الرستمية وسيطروا على تونس بعد أن قضوا على الأغالبة وأصبحت القيروان عاصمة لهم.

مرت الخلافة الفاطمية بمرحلتين: المرحلة المغربية، والمرحلة المصرية، والمهم هنا المرحلة المغربية التي حكم فيها أربعة أئمة:

هم: عبيد الله المهدي (297 - 322 هـ/909- 934م)، وأبو القاسم محمد القائم (322 - 334هـ/934 - 946م)، والمنصور إسماعيل (334- 341هـ/946 - 953م)، والمعزُّ لدين الله (341 - 365هـ/ 953 - 975م)، وفي هذه المرحلة قام المهدي بجمع الدعاة وعمل على إعادة تنظيم الدعوة. ووفق المهدي في القضاء على المعارضة الداخلية حين أقدم على قتل أبي عبد الله الشيعي ومن سانده. وفي

عام 300 هـ/ 913م، بنى مدينة المهدية في تونس واتخذها عاصمة له. وواجه محمد القائم ثورة خارجية قادها أبو يزيد مخلد بن كيراد النكاري الخارجي، لكن المنصور إسماعيل تمكن من القضاء على ثورته. وفي أيام المعز لدين الله بسطت الخلافة الفاطمية سيطرتها على جميع أجزاء الشمال الإفريقي، فوجه اهتمامه إلى مصر التي تمكن من دخولها سنة 385 هـ / 969 م، واستمرت دولتهم حتى سقوطها عام 567هـ/ 1171م على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية.

بعد أن انتقل خلفاء الدولة الفاطمية إلى القاهرة ضعفت قبضتهم على شمالي إفريقيا، فأتيحت الفرصة أمام قبيلة صنهاجة البربرية التي مكنتها الظروف من إنشاء إمارة محلية على يد بلكين بن زيري الذي أنابه الخليفة الفاطمي على شمال إفريقيا، وبعد وفاته استقل ولده حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط، فعرفت تلك الدولة بدولة بني حمّاد التي استمرت حتى سقوطها على يد الموحدين سنة 547هـ/1152م.

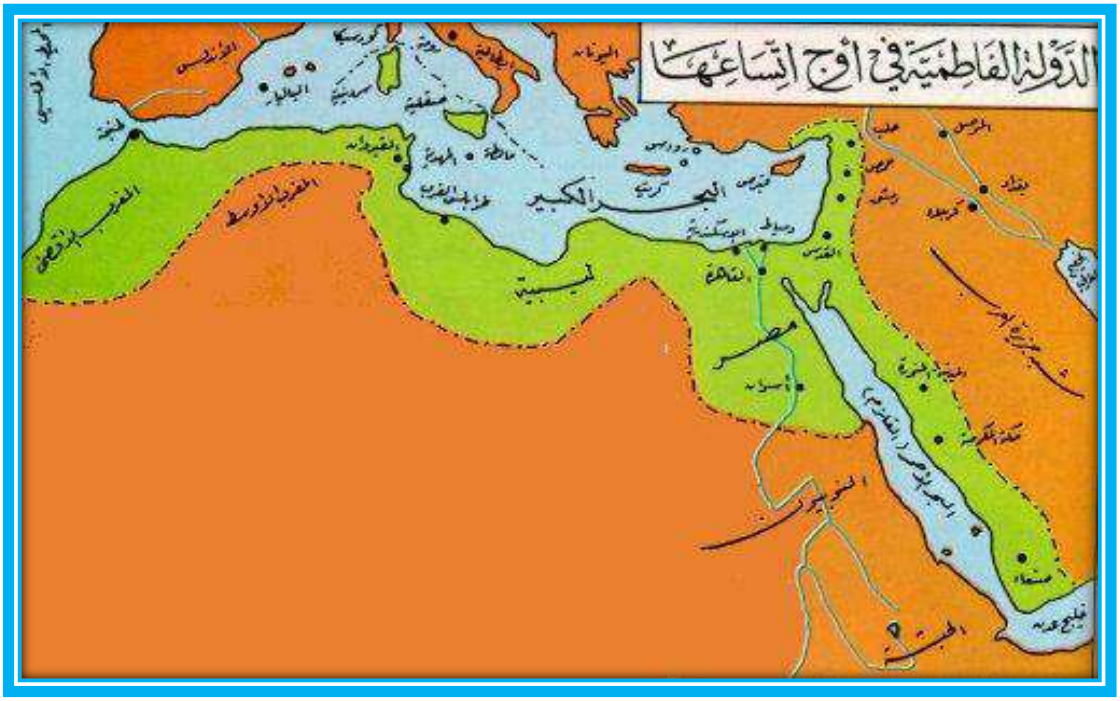

2.5- الـــدولة الحمادية بالمغرب الأوسط (398-547هـ/ 1007-1152م):

تعتبر الدولة الحمادية ثاني دولة إسلامية مستقلة في المغرب الأوسط وأول دولة بربرية تحكم الجزائر، كان لها موقعا استراتيجيا هاما ساعدها على حفظ التوازن بين الدولة الزيرية في الشرق وقبيلة زناتة الثائرة في الغرب.

أسسها حماد بن بلكين القائد العسكري المحنك الذي برز خلال فترة الحكم الفاطمي للمغرب الإسلامي حيث كانت مهمته مراقبة قبيلة زناتة من جهة وإخضاع المغرب الأوسط لنفوذهم من جهة أخرى، اتخذ من قلعة بني حماد عاصمة لدولته الفتية وذلك سنة 398هـ/ 1007 م. وقد اعتبرت المرحلة التي كانت فيها القلعة عاصمة (1007 م – 1062 م) مرحلة تأسيس الدولة الحمادية وتثبيت دعائمها ، حيث اتسعت الدولة في هذه المرحلة شرقا حتى ضمت تونس في بعض الأحيان واتسعت غربا إلى فاس، وامتدت جنوبا إلى ورقلة. وبلغت الدولة الحمادية سنة455هـ/ 1062 م مرحلة من القوة والازدهار جعلت خامس الملوك الحماديين الناصر بن علناس يفكر في تأسيس عاصمة جديدة على الساحل لتهتم بشؤون البحر المتوسط فوقع اختياره على خليج بجاية باعتبارها الميناء الطبيعي للقلعة. فأسس عاصمته في مكان قريب من صلداي الفينيقية وسماها الناصرية ثم اشتهرت بعد ذلك باسم بجاية. سقطت هذه الدولة على يد الموحدين سنة 1152م في عهد آخر أمراءها يحي ابن العزيز.

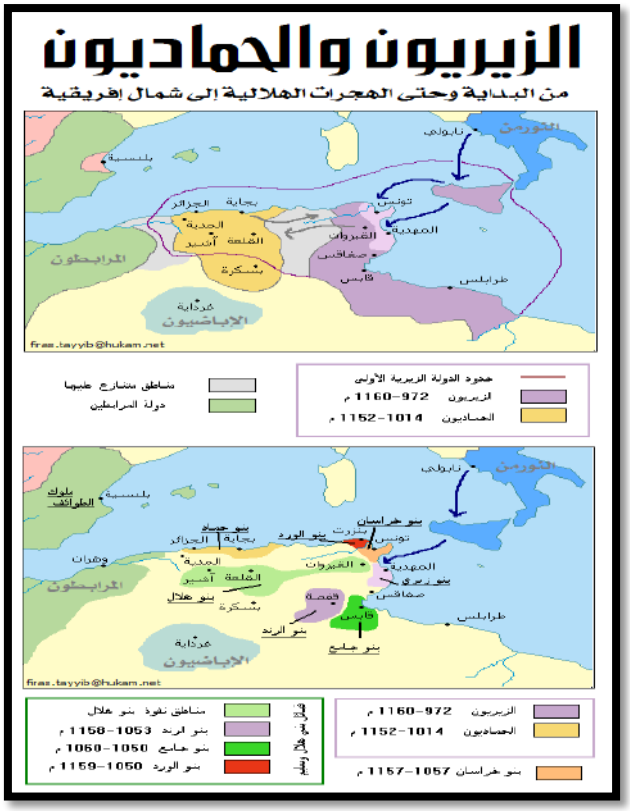

3.5- دولة المرابطين (427 . 541هـ /1035 .1146م):

يعرف المرابطون بالملثمين، وهم من أصول صنهاجية، نشأت دولتهم بمنتصف القرن الخامس الهجري في الجنوب الغربي من بلاد المغرب. وبفضل الأفكار التي حملها إليهم عبد الله بن ياسين استطاع أن يستميل إليه أكثر قبائل المنطقة، وبمساعدة زعمائها تمكن من السيطرة على المناطق الصحراوية حتى حدود النيجر والسنغال، ثم توجه شمالاً فاستولى على سجلماسة ومد نفوذه إلى حدود تلمسان وبعد وفاته سنة 451هـ/1059م تولى زعامة المرابطين أحد قادة الصنهاجيين (يوسف بن تاشفين)، المؤسس الحقيقي لهذه الدولة والذي دانت له أكثر قبائل المغرب قبل أن يستقر في مدينة مراكش التي أمر بإنشائها وجعلها مقراً لإدارته، وحينما استنجد به ملوك الطوائف في الأندلس دخلها عدة مرات وضم دويلاتها إلى أملاكه بعد أن تغلب على الممالك والإمارات الإسبانية بأكثر من موقعة، ومن بعد وفاته تداول الحكم أولاده وأحفاده إلى أن انقرضت دولتهم على يد الموحدين سنة 541هـ/1146م.

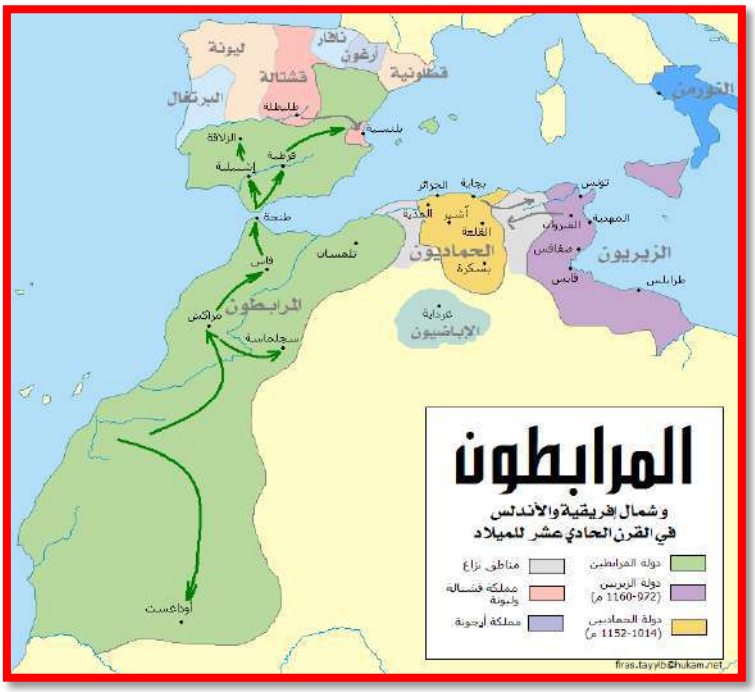

4.5- دولة الموحدين (515-665هـ/1121-1266م):

ظهرت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، وترجع نشأتها إلى محمد بن تومرت (471 - 524 هـ/ 1079- 1130م). الذي تميز بغزارة علمه وحسن تفقهه وقد ساعد على إنشاء هذه الدولة خليفته عبد المؤمن بن علي عام 541هـ/ 1147 م، الذي دخل مراكش عاصمة المرابطين وقضى على آخر ملوكها وحكم بعد عبد المؤمن عدد من الحكام أشهرهم، أبو يوسف يعقوب المنصور (580 - 595 هـ/1184 - 1199م)، الذي أنشأ مدينة الرباط وألحق الهزيمة بالجيش الإسباني في معركة الأرك سنة

591هـ/1267م، وكان آخرهم عمر المرتضى الذي طرده إدريس أبو دبوس وأخذ منه مراكش بمساعدة بني مرين وانتهى الأمر بمقتله سنة 665هـ/1266م.

قامت في المغرب الاسلامي بعد سقوط دولة الموحدين ثلاث دول هي:

5.5- دولة بني زيان في المغرب الأوسط :

نشأت هذه الدولة عام 633هـ على يد يغمراسن بن زيان قبل سقوط الدولة الموحدية عام667 هـ / 1269م، لأن بني زيان كانوا ولاة على الجزائر من قبل الموحدين، وكانت تلمسان عاصمة لدولتهم التي استمرت حتى سنة 962هـ/ 1554م ويعد أبو حمو موسى الثاني753هـ/1352م، من أبرز ملوكهم، ففي عهده غدت تلمسان منارة للعلم يقصدها الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي كافة، غير أن الاضطرابات بدأت تسود الجزائر مع نهاية القرن الرابع عشر ميلادي بسبب الهجمات التي كان يقوم بها الإسبان بين الحين والآخر إلى استعان أهلها بخير الدين بربروس الذي مهد السبيل لدخول العثمانيين فيما بعد إلى الجزائر العام 1516م لتسقط على يدهم عاصمتهم تلمسان بعد ذلك سنة 1554م.

6.5- دولة بني مرين في المغرب الأقصى:

قامت الدولة المرينية بدخول السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مراكش عاصمة الموحدين عام 667هـ/ 1269م، وأشهر حكامهم أبو الحسن المريني(731 - 752هـ/ 1331 - 1352م)، وابنه أبو عنان (752- 759هـ/ 1352-1358م). وقدم بنو مرين المساعدة لبني الأحمر في غرناطة ضد

الإسبان، وكانت علاقتهم مع المشرق العربي قائمة على المودة. وفي آخر عهدهم استولى البرتغاليون على مدينة سبتة ثم مالبثت دولتهم أن سقطت على أيدي الأشراف السعديين، سنة 869هـ/ 1464م.

7.5- دولة الحفصيين في تونس:

حكمت الأسرة الحفصية في تونس من عام 625 هـ/1227مم إلى عام 941 هـ/ 1534 م، ويُعد أبو زكريا يحيى الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين، وهم ينتسبون إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى من قبيلة هنتاتة وهو من ألمع رجالات دولة الموحدين وقد استقلوا بتونس بعد وفاة أبي العلا آخر ملوك الموحدين وبلغت الدولة الحفصية قمة ازدهارها في عهد أبي زكريا يحيى (626- 647 هـ/ 1228- 1249م). وفي عهد ابنه أبي عبد الله المستنصر بالله (647- 675 هـ / 1249-1277م). ثم مرت فترة ساد فيها الاختلال والاضطراب، إلى أن أعاد إليها أبو العباس(870 - 796 هـ/1369-1393م)، الاستقرار ليستمر طوال عهد ابنه فارس عزيز (796-837هـ/1393-1434م). وحينما حاول الإسبان تثبيت أقدامهم على الساحل الإفريقي استنجد الحفصيون بالعثمانيين، الذين قدموا إلى تونس، لتدخل البلاد مرحلةَ جديدة من التاريخ الحديث.

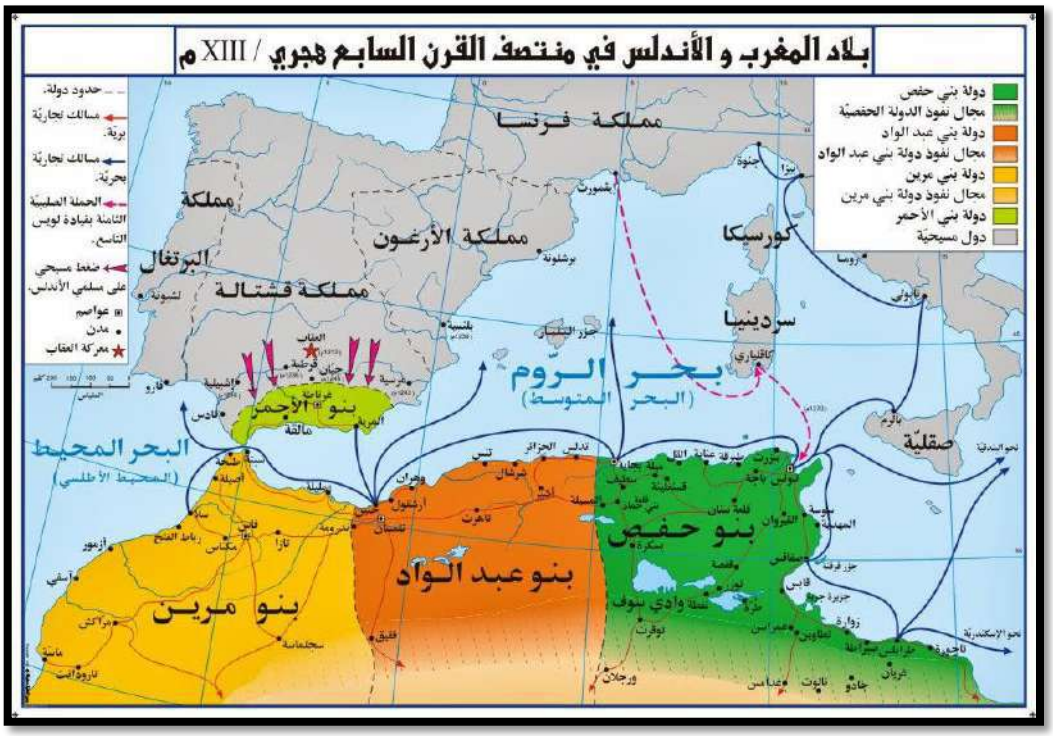

6- التواجد العثماني ببلاد المغرب الاسلامي:

بدأ الغزو الاوربي البحري على بلاد المغرب الإسلامي قبل خروج المسلمين من الاندلس عام1492 م، وقد كان السبب المباشر لذلك هو ضرب الخطوط الخلفية والمساعدات التي كانت تصل للمسلمين في الاندلس ونتيجة لذلك علم الاوربيون بالضعف والتمزق في بلاد المغرب، لذلك تفتحت شهيتهم لاحتلال الاقطار الغنية الواقعة في اقصى الغرب من البلاد الإسلامية (تونس، الجزائر، مراكش) البعيدة عن السيطرة العثمانية، والتي تمثل بالنسبة للاوربيين نقطة انطلاق نحو غرب افريقيا الغنية المتخلفة، لقد كانت البرتغال من اولى الدول الاوربية التي فكرت في السيطرة على هذه المناطق، فقد غزا البرتغاليون مدينة (سبته) في عام (1415م) واحتلوا كذلك في عام (1437م) مدينة طنجة لتلحق بها إسبانيا التي تمكنت من احتلال عديد المدن من ساحل بلاد المغرب الإسلامي.

وفي هذه الفترة ظهرت قوة بحرية إسلامية في حوض المتوسط بقيادة خير الدين بربروس واخيه عروج، واللذان يرجع لهما الفضل الاول في طرد المحتلين من بلاد المغرب الاسلامي بطلب من السكان المحليين، وفي العام 1518م صارت الجزائر تابعة للخلافة مع معارك طاحنة شنها عروج وخير الدين ضد الإسبان وبقايا الزيانيين.

وعندما تولى سليمان القانوني السلطة في اسطنبول أصدر مرسوما بتعيين خير الدين أميرا للبحر، كما اعاد تعينه حاكما على الجزائر وأمر بمنحه ثلاث وثمانون سفينه.

أما تونس فقد بقيت بعيدة عن السيطرة العثمانية الفعلية عليها، ودارت معركة عنيفة بينهما انتهت بطرد الاسبان نهائيا من القطر التونسي في عام1573م ووقع الملك الحفصي في الاسر، وارسل الى اسطنبول حيث بقي فيها حتى وفاته، ومنذ ذلك الوقت اصبحت تونس تحت السيطرة العثمانية المباشرة يديرها والي من الجزائر.

أما بالنسبة الى طرابلس فعندما احتلها الاسبان عام1510م نفوا حاكمها جزيرة صقلية، ولكن القوات الاسبانية الغازية فشلت في التوسع داخل طرابلس، وبقيت القوات الاجنبية مسيطرة على المناطق الساحلية فقط بسبب مقاومة الاهالي الكبيرة للغزو الاجنبي، ولم يستطيعوا طرد الغزاة الا بعد ان طلبوا المساعدة من السلطان العثماني، وعندما تولى خير الدين بربروس قيادة الاسطول العثماني وضع خطة للسيطرة على طرابلس عام1533م، ولكن الاسبان استطاعوا ايقاف الزحف العثماني وبذلك فشل العثمانيون في السيطرة على طرابلس، ولكن العثمانيون اعادوا الكره عام 1551م حين ارسل السلطان العثماني حملة بحرية بقيادة سنان باشا قائد الجيش العثماني الذي استطاع بعد معارك طاحنة من طرد فرسان(القديس يوحنا) وهكذا

تمت السيطرة على طرابلس من قبل العثمانيين في السادس عشر من آب عام 1551م واسند ولايتها الى احد مساعديه، وبذلك اصبحت طرابلس الغرب جزءا من الدولة العثمانية.

اما مراكش فقد ظلت بعيدة عن متناول العثمانيين وحكمهم المباشر وذلك بسبب تنامي قوة الدولة السعدية الناشئة منذ منتصف القرن السادس عشر. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها القادة العثمانيون ومنهم علي العلج حاكم الجزائر منذ 1568م لاخضاع مراكش إلا ان ذلك لم يتحقق لسببين مهمين اولهما: النصر الكبير الذي حققه المغاربة على البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة 1578م. الذي جعلهم محط تقدير السلطان العثماني ورغبته في ايقاف الحملات الموجهه ضد مراكش، وثانيهما: ظهور شخصية قوية حاكمة في المغرب ذلك هو المنصور السعدي الذي سعى للمحافظة على استقلال مراكش وعدم الخضوع للسيطرة العثمانية.

لقد اتسم تاريخ العثمانيين في المغرب الإسلامي بظاهرة ضعف السيطرة العثمانية على هذه الأقطار وبخاصة بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر وذلك لبعد المسافة التي تفصل بين هذه الولايات وعاصمة الخلافة، ولضعف الادارة التي لابد منها لاحتفاظ الدولة بسيطرتها على تلك الولايات وهي القوة، لذلك فقد لجأت هذه الدول – وبخاصة الجزائر التي تميزت باستقلالها الشبه التام عن الباب العالي– الى تنظيم نفسها على نحو يكفل لها الدفاع عن كيانها في مواجهة الغزو الاوربي المتنامي، فقامت في الجزائر وتونس وطرابلس أسر حاكمة تدين بالولاء الإسمي فقط للعثمانيين ويتوارث أعضاءها الحكم فيما بينهم .

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر**، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.
- **أبو خليل شوقي** ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، دمشق، 2005م.
- **أبو مصطفى كمال السيد** ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، 1997م.
- **الابيض أنيس** ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جروس برس، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، 1994م.
- **بن قربة صالح وآخرون**، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- **الحريري محمد عيسى** ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الكويت، 1987م.
- **زنيبر محمد** ، المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1970م.
- **الطمّار محمد** ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م.
- **الفقي عصام الدين عبد الرؤوف** ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م.
- **لقبال موسى** ، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981م.
- **محمد حسين حمدي عبد المنعم** ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.
- **الثعالبي عبد العزيز** ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الاغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- **مؤنس حسين** ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004.
- **مؤنس حسين** ، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1987م

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- المصادر:

- **البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر**، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.

-**إبن خلدون عبد الرحمن**، المقدمة، تحقيق : أحمد جاد، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، القاهرة، 2007م.

- **الماوردي أبو الحسن**، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

- **المقريزي، تقي الدين ابن العباس أحمد بن علي**، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2007م.

- **المناوي محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي** ، النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، دار الرشيد للنشر،1981م.

- **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي المعروف بابن رامي البنّاء**، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة: فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.

2- المراجع:

أ- الكتب:

- **أبو خليل شوقي** ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، دمشق، 2005م.

- **أبو مصطفى كمال السيد** ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، 1997م.

- **الابيض أنيس** ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جروس برس، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، 1994م.

- **أحمد رمضان أحمد**، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، ب.ت.

- **البدوي عبد الرحمن** ، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995م.

- **بن حموش مصطفى أحمد** ، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، دار التراث

للدراسات الاسلامية واحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، 2000م.

- **بن قربة صالح**، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي، إلى سقوط دولة بني حماد،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- **بن قربة صالح وآخرون**، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

- **بنبين أحمد شوقي** ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، المطبعة والوراقة الوطنية الحي المحمدي، الطبعة الثانيةن مراكش، 2004م.

- **بنبين أحمد شوقي ومصطفى طوبي**، معجم مصطلحات المخطوط العرب (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2003م.

- **بنعبد الله عبد العزيز** ، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى، الرباط، 2001م.

- **بورويبة رشيد**، الكتابات الأثرية في المباني الجزائرية، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- **الحريري محمد عيسى** ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الكويت، 1987م.

- **حسن زكي محمد** ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

- **حسن صالح بن إبراهيم** ، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003م.

- **الحلوجي عبد الستار** ، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الطبعة الثانية، جدة، 1989م.

- **الحلوجي عبد الستار** ، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م.

- **حميدة عبد الرحمن** ، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، 1995م.

- **حوالة يوسف بن أحمد** ، الحياة العلمية في إفريقيا، الجزء الثاني، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 2000م.

- **ديروش فرانسوا** ، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005م.

- **رحاحلة إبراهيم القاسم** ، النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م.

- **زنيبر محمد** ، المغرب في العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1970م.

- **زيدان جرجي** ، تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

- **سالم السيد عبد العزيز وآخرون** ، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مجموعة بحوث ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000م.

- **السامرائي قاسم** ، علم الإكتناه العربي الاسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الطبعة الاولى، الرياض، 2001م.

- **سيد أيمن فؤاد** ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997م.

- **شوحان أحمد** ، رحلة الخط العربي، من المسند ... إلى الحديث، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

- **الصايغ خالد** ، النقود الإسلامية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.

- **الطباع إياد خالد**، المخطوط العربي؛ دراسة في أبعاد الزمان والمكان، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م.

- **الطمّار محمد** ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م.

- **عارف نصر محمد** ، الحضارة –الثقافة– المدنية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الثانية، عمان، 1994م.

- **الفقي عصام الدين عبد الرؤوف** ، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م.

- **فهيم حسين محمد** ، أدب الرحلات، عالم المعرفة، العدد 138، الكويت، يونيو 1989م.

- **القصيري إعتماد يوسف** ، فن التجليد عند المسلمين، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1989م.

- **الكرملي أنستاس ماري البغدادي**، النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، 1939م

- **لقبال موسى** ، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981م.

- **لومير جاك** ، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، 2006م.

- **مبيض سليم عرفات** ، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية "من القرن السادس قبل الميلاد

وحتى عام 1946"

- **محمد الجبري عبد المتعال** ، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989م.

- **محمد حسين حمدي عبد المنعم** ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

- **محمد رمضان عاطف منصور**، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008م.

- **المسفر عبد العزيز بن محمد** ، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض، 1999م.

- **مورجان فيكتور**، تاريخ النقود، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

- **مؤنس حسين** ، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1987م

- **مؤنس حسين** ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004.

- **النقشبندي ناصر**، الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، المجمع العلمي، 2005م.

- **الثعالبي عبد العزيز** ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الاغلبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

ب- الرسائل الجامعية:

- **رزقي فهيمة**، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرتا، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م.

- **يحياوي العمري**، الدراهم المغربية الأندلسية المربعة من خلال مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2004م.

ج-المقالات :

- **القحطاني هاني بن محمد**، "فقه العمران الاسلامي؛ إشكالات المحتوى والبنية والخطاب"، مجلة لونارد، المجلد الأول، العدد الثاني، السنة الأولى، مارس، 2011م.

- **الثامري إحسان ذنون عبد اللطيف** ، "الكتابات الأثرية في مصادر تقي الدين الفاسي"، المجلة الاردنية للتاريخ والآثار، المجلد 7، العدد 1، 2013م.
- **خلف عبد الحسن حسن** ، "الكتابة ومكانتها الحضارية عند العرب"، مجلة كلية الأدب، العدد 97.
- **غرايبة خليف مصطفى** ، "الرحلات الجغرافية في التراث العربي الاسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين"، مجلة حوليات التراث، العدد 11، 2011م.
- **القحطاني هاني محمد** ، "الكتابة والعمارة"، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثامن، السنة الرابعة.
- **السامرائي عبد الجبار محسن** ، "حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان"، مجلة سر من رأى، المجلد 3، العدد 8، السنة الثالثة، كانون الأول 2007.

فهرس المحتويات

المحاضرة الأولى: المسكوكات الإسلامية

تمهيد: ..... - 8 -

1- ظهور النقود : ..... - 9 -

2- النقود في شبه الجزيرة قبل الاسلام : ..... - 9 -

3- النقود في عهد الرسول عليه السلام : ..... - 9 -

النقود في عهد الخلفاء الراشدين : ..... - 9 -

4- النقود في العهد الأموي : ..... - 10 -

5- الإصلاح النقدي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان : ..... - 11 -

1.5-الأسباب غير المباشرة : ..... - 11 -

أ- الأسباب الاقتصادية : ..... - 11 -

ب-الأسباب السياسية : ..... - 12 -

ت-الأسباب الدينية : ..... - 12 -

2.5- الأسباب المباشرة (حادثة القراطيس): ..... - 13 -

6- مراحل الإصلاح النقدي وتعريب النقود: ..... - 13 -

1.6- مراحل تعريب الدينار: ..... - 14 -

أ- مرحلة الصور الأجنبية : ..... - 15 -

ب- مرحلة الصور العربية : ..... - 15 -

ج- مرحلة الأسلمة والتعريب : ..... - 16 -

2.6- مراحل تعريب الدرهم : ..... - 16 -
أ-المرحلة الأولى : ..... - 17 -
ب-المرحلة الثانية :..... - 17 -
ج-المرحلة الثالثة : ..... - 18 -
3.6- تعريب الفلوس :..... - 18 -
7- تطور المسكوكات الإسلامية في العهد العباسي : ..... - 19 -
8- تطور المسكوكات الإسلامية في بلاد المغرب:..... - 21 -
9- صناعة السكة: ..... - 29 -
1.9- إعداد قوالب السك: ..... - 30 -
أ-القوالب المحفورة مباشرة:..... - 30 -
ب- القوالب المصبوبة:..... - 30 -
2.9- صناعة النقود: ..... - 30 -
1.2.9- طريقة الصب: ..... - 30 -
2.2.9- طريقة الطرق :..... - 31 -
10- أهمية دراسة النقود الإسلامية :..... - 32 -
1.10- سياسيا: ..... - 32 -
2.10- اقتصاديا :..... - 33 -
3.10- دينيا :..... - 33 -
4.10- اجتماعيا : ..... - 33 -
5.10- فنيا :..... - 33 -

6.10- إعلاميا : ..... - 34 -
7.10- من نواحي أخرى: ..... - 34 -
قائمة المصادر والمراجع:..... - 35 -

المحاضرة الثانية: الكتابات الأثرية

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي: ..... - 37 -
1.1- المفهوم اللغوي : ..... - 37 -
2.1- المفهوم الاصطلاحي :..... - 37 -
2- أنواع الكتابات الأثرية :..... - 37 -
1.2- الكتابات التأسيسية : ..... - 37 -
2.2- الكتابات التذكارية :..... - 39 -
3.2- الكتابات الوقفية : ..... - 40 -
4.2- الكتابات الشاهدية : ..... - 41 -
5.2- الكتابات الزخرفية:..... - 42 -
3- تنفيذ الكتابات الأثرية :..... - 43 -
4- أهمية دراسة الكتابات الأثرية : ..... - 44 -
1.4- من الناحية التاريخية : ..... - 44 -
2.4- من الناحية الأثرية : ..... - 45 -
3.4- من الناحية السياسية :..... - 45 -
4.4- من الناحية الاقتصادية : ..... - 45 -
5.4- من الناحية الاجتماعية :..... - 45 -

6.4- من الناحية الفنية :. ..... - 46 -
7.4- من الناحية الثقافية :..... - 46 -
قائمة المصادر والمراجع:..... - 47 -

المحاضرة الثالثة: المخطوطات العربية

1- التعريف اللغوي والاصطلاحي للمخطوطات : ..... - 48 -
1.1- التعريف اللغوي:..... - 48 -
2.1- التعريف الاصطلاحي : ..... - 48 -
2- مفهوم علم المخطوطات: ..... - 49 -
3- صناعة المخطوط العربي الإسلامي:..... - 49 -
4- أدوات الخطاطين:..... - 51 -
1.4- القلم :..... - 51 -
2.4- الحبر :..... - 51 -
3.4-أدوات الكتابة: ..... - 52 -
4.4-سكين الخطاط : ..... - 53 -
5- الملامح المادية للمخطوط العربي : ..... - 53 -
1.5- صفحة العنوان :..... - 54 -
2.5- بداية المخطوط : ..... - 54 -
5.3- عناوين الفصول والعناوين الجانبية : ..... - 54 -
4.5- الهوامش : ..... - 54 -
5.5- التسطير :..... - 55 -

6.5- علامات الترقيم.: ..... - 55 -
7.5- الاختزال في الكتابة (الاختصارات) : ..... - 55 -
9.5- نهاية المخطوط : ..... - 56 -
10.5- أحجام أوراق المخطوطات : ..... - 56 -
11.5- ترقيم الأوراق والصفحات : ..... - 56 -
12.5- التمليكات والسماعات والإجازات والفوائد : ..... - 56 -
6- أنواع الخطوط العربية :..... - 56 -
7- أهمية المخطوطات : ..... - 57 -
قائمة المصادر والمراجع:..... - 59 -

المحاضرة الرابعة : مصادر فقه العمران الاسلامي

1- مصادر فقه العمران الإسلامي:..... - 61 -
2- المؤلفات المبكرة في فقه العمران:..... - 63 -
1.2- كتاب التطيلي :..... - 63 -
2.2- كتاب المرجي الثقفي :..... - 64 -
4.2- كتاب ابن الرامي : ..... - 65 -
5.2- كتاب أبي حامد المقدسي : ..... - 67 -
6.2- كتاب كامي أفندي : ..... - 68 -
3- عناية الفقه والقضاء الإسلامي بأحكام العمران والبنيان :..... - 69 -
4- بعض القواعد الفقهية المنظمة للعمران:..... - 71 -
5- أهمية دراسة مصادر فقه العمران : ..... - 71 -

قائمة المصادر والمراجع:..... - 73 -

المحاضرة الخامسة: المصادر التاريخية

أولا : مصادر التاريخ الاسلامي:..... - 74 -

1 - التاريخ العام :..... - 74 -

2-كتب التراجم : ..... - 74 -

3-تاريخ الدول: ..... - 75 -

4- التاريخ العسكري:..... - 75 -

5- التاريخ الإقتصادي :..... - 75 -

بعض المؤرخين المسلمين : .....- 75 -

ثانيا - الرحلة والرحّالة:..... - 78 -

1- الرحلة لغة :..... - 78 -

2- الرحلة اصطلاحا :..... - 79 -

3- دوافع وأهداف الرحلة عند المسلمين : ..... - 79 -

4- أنواع الرحلات عند المسلمين : ..... - 80 -

5- أهمية الرحلة : ..... - 80 -

6- إهتمام المغاربة بالرحلات: ..... - 80 -

ثالثا – علم الجغرافيا ..... - 81 -

1- التعريف اللغوي والإصطلاحي لعلم الجغرافيا : ..... - 81 -

2- نشأة علم الجغرافيا عند المسلمين وعوامل ازدهاره:..... - 82 -

3- جهود الجغرافيين المسلمين في تطوير علم الجغرافيا :..... - 82 -

4- مصنفات المسلمين في علم الجغرافيا : ..... - 83 -
5- مناهج الدراسات الجغرافية عند المسلمين : ..... - 83 -
6- أهم منجزات المسلمين في ميدان الجغرافيا: ..... - 84 -
قائمة المصادر والمراجع:..... - 85 -

المحاضرة السادسة : الحضارة الاسلامية

1- مفهوم الحضارة :..... - 86 -
2- تعريف الحضارة الإسلامية:..... - 87 -
3- المراحل الكبرى للحضارة العربية الإسلامية:..... - 87 -
4- مجالات الحضارة الإسلامية : ..... - 89 -
5- خصائص الحضارة الإسلامية : ..... - 90 -
6- منجزات الحضارة الإسلامية: ..... - 90 -
1.6- علم الطب : .....- 90 -
2.6- علم الصيدلة : .....- 92 -
3.6- علم الكيمياء: .....- 92 -
4.6- العلوم الرياضية:.....- 93 -
5.6- علم الفلك: .....- 94 -
6.6- علم الجغرافيا:.....- 95 -
7.6- علم النبات : .....- 96 -
8.6- علم الحيوان :.....- 96 -
9.6- علم الفيزياء .....- 97 -

7- فضل المسلمين على الحضارة العالمية : ..... - 98 -

قائمة المصادر والمراجع..... - 100 -

المحاضرة السابعة: المراحل التاريخية للمغرب الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني.

1- بلاد المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ..... - 101 -

2- عصر الولاة في بلاد المغرب الاسلامي:..... - 103 -

3-حكم الولاة في المغرب والأندلس : ..... - 104 -

أ- المغرب:..... - 104 -

ب-الاندلس: . ..... - 105 -

4- قيام الدويلات المستقلة ببلاد المغرب:..... - 106 -

1.4- الدولة المدرارية بسجلماسة: ..... - 107 -

2.4- الدولة الرستمية (ه 160 777/296 908 م):..... - 107 -

3.4- الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى (172-309ه / 788-920م):- 108 -

4.4- دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى (ه 184 800/296 909 م): ..... - 108 -

5- أهم دول المغرب الاسلامي التي قامت بعد سقوط الدول المستقلة: ..... - 109 -

1.5- الدولة الفاطمية (297-362ه/ 909-972م):..... - 109 -

2.5- الـــدولة الحمادية بالمغرب الأوسط (398-547ه):..... - 110 -

3.5- دولة المرابطين (427 . 541ه /1035 .1146م):..... - 112 -

4.5- دولة الموحدين (515-665ه/1121-1266م):..... - 112 -

5.5- دولة بني زيان في المغرب الأوسط :..... - 113 -

6.5- دولة بني مرين في المغرب الأقصى: ..... - 113 -

7.5- دولة الحفصيين في تونس: ..... - 114 -

6- التواجد العثماني ببلاد المغرب الاسلامي: ..... - 115 -

قائمة المصادر والمراجع: ..... - 117 -

قائمة المصادر والمراجع للمطبوعة: ..... - 118 -

* *